شعر غزوات النبى ρ

« دراسة تحليلية»

إعداد
أ.د. محمد بن هادي المباركي
الأستاذ بقسم الأدب والبلاغة
بكلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بالجامعة الإسلاميَّة

شعر غزوات النبي ε

دراسة تحليلية

الـمستخلص:

قامت هذه الدراسة على تتبُّع شعراء غزوات النبي ε، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار ، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة ، والحرص على الدِّفاع عن الإسلام ، ومنافحة خصومه ، والتَّصدي لهم في كلِّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدعوة الإسلامية .

وقد اشتملت هذه الدراسة على مبحثين أساسين ، أحدهما بعنوان : ((الشعر في مواكبة الغزوات)) ، وفيه عرض البحث لغزوات النبي ε، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشِّعر من ردود على شعراء المشركين ، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشُّعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتسم فيها الشِّعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين ، ولذا فقد جاءت الرُّدود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشِّعر، وتفصح عن عيوبه . وفي غزوة (الخندق) وقف الشِّعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويَّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين ، ولكنهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران . وفي غزوة (مؤتة) وقف الشِّعر يستنهض الهمم ، ويقوِّي العزائم ، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله . وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء ، حيث مجد الشُّعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمته ، وأهمِّيته للمسلمين .

أما المبحث الثَّاني فكان بعنوان : ((القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات)) وفيه تناولت الدِّراسة ما اتسم به ذلك الشعر من قيم فنِّيَّة في جانب اللُّغة الشِّعريَّة ، والصُّورة الفنِّيَّة، بيان أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات .

****

Poetry of the Prophet's Battles

(Analytic Study)

Abstract

This research is based on exhaustive compilation of the eternal poems said in the battles of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and those poets that composed them. It touched on the spirit of enthusiasm, determination, concern for the defense of Islam, fight against its opponents and rejoining to all the poems they said to offend the Islamic Da'wah.

The research is composed of two main research sections:

First: Poems said to keep up with the Prophetic battles. Here the research addressed the Prophet's battles and the poems said in their regard in response to the poems of polytheistic poets, where the battle of Badr was the first battle to get the attention of poets. Then, it was followed by the battle of Uhud, which was characterized by profound amount of poems owing to the events that occurred making the polytheistic poets to exhibit superiority over the Muslims. That is why the rejoinders of Muslim poets came to silence those poems and expose their defects.

In the battle of the Trench, poetry stood to express the enthusiasm of Muslims and their moral spirit to confront the confederates that came to invade the Muslims but ultimately returned with ill consequence and loss.

During the battle of Mu'tah, the Islamic poetry stood by to boost morals, enhance determinations and refer to the victory or martyrdom in the path of Allah, which was the aim and objective of the Muslims.

Finally, was the Conquest of Makkah, which was indeed a great glad tiding for Muslims and a gateway to spread Islam in that area. The poets glorified that victory and expressed its greatness and significance to Muslims.

The second section of the research was entitled: "Artistic values in the poetry of the Prophetic battles", where the study addressed the artistic values that characterized that poetry in the aspects of poetic language, poetic image and explanation of the impact of the Noble Qur'an on poetry of the Prophetic Battles.

Résumé

Cette étude se propose de suivre les poètes qui ont décrit les conquêtes du Prophète -que la paix et le salut d'Allah soient sur lui-, elle se penche surtout sur cette poésie qui relate ses batailles inoubliables, qui sont pleines d'ardeur, de détermination à défendre l'Islam et à le propager au sein même de ses détracteurs. Ces poètes ont on eu le privilège de s'opposer à tous ceux qui espéraient nuire à la Dawa' islamique (appel à l'Islam).

Deux chapitres constituent le socle de cette étude:

1) **Le premier chapitre** s'intitule: "La poésie à l'escorte des conquêtes du Prophètes". Ce chapitre traite de la poésie qui a été dite sur les conquêtes du Prophète, en riposte aux poètes mécréants, lors de la bataille de Badr qui est la première grande bataille du Prophète, c'est de là que cette étude tire son importance au regard des poètes musulmans. La bataille de Ouhoud est caractérisée par l'abondance de ses poèmes, ce qui signifie que les événements de cette bataille ont poussé les poètes à vanter les louanges et la gloire des combattants musulmans qui ont non seulement riposté par des armes, mais aussi par la poésie qui a rendu leurs adversaires muets et a mis à nu leur imperfection. Quant à la bataille de Khandak, les poètes font écho de l'enthousiasme des musulmans, de leur esprit moral à faire face aux forces coalisées qui se sont dressées pour livrer bataille contre eux. Nous connaissons par la suite que les forces coalisées ont subi une défaite cuisante. Les poètes

musulmans ont joué un grand rôle dans la bataille de Mouta. Ce rôle consistait à éveiller l'esprit de combativité des musulmans, à renforcer leur ardeur, tout en mettant l'accent sur le souhait des combattants musulmans, à savoir la victoire ou le martyre sur la voie d'Allah. Enfin la conquête de la Mecque annonçait une grande nouvelle aux musulmans, car une grande voie est ouverte à la propagation de l'Islam dans cette partie du monde. Les poètes ont glorifié cette conquête et ont décrit sa grandeur et son importance pour tous les musulmans.

Le deuxième chapitre qui est intitulé: "les valeurs artistiques de la poésie consacrée aux conquêtes du Prophète" parle des spécificités de cette poésie, de ses valeurs artistiques, du point de vue linguistique et du point de vue de l'aspect artistique, sans oublier l'impact du Noble Coran sur cette poésie qui décrit les conquêtes du Prophète -que la paix et le salut d'Allah soient sur lui-.

مكان الترجمة : الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة ، معتمدة من كليَّة اللُّغة العربيَّة.

شعر غزوات النبى ρ «دراسة تحليلية»

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد: فإنَّ الشِّعر في ظلال الإسلام قد أدَّى دوراً لا يُنكر في مسيرة الدَّعوة الإسلاميَّة حين واكب الغزوات والفتوحات، ونافح الشُّعراء عن حياض الدَّعوة بكلِّ ما أُوتوا من فصاحة وبيان، وبما استقرَّ في نفوسهم من أضواء اليقين، وإشراقات الإيمان.

وكانت مواقف المصطفى ρ من شعراء الإسلام قد دفعت بهم إلى شحذ ملكاتهم وصقل مواهبهم، والوقوف في وجه أعداء الإسلام بالكلمة المؤمنة المشحونة بكل طاقات الانفعال الإيمانيَّة التي تزلزل الجبال وتهزُّ الرَّواسي.

موضوع البحث :

ولقد كانت غزوات النَّبيِّ ρ ميداناً خصباً سار في ركابه كثير من الشُّعراء، وأبانوا عن مناصرتهم لدين الله تعالى، والتَّصدِّي للمشركين الذين ما فتئوا يتعرَّضون للمسلمين. حيث كان للشِّعر – آنذاك – دوره في مختلف المواقع والغزوات التي خاضها المسلمون من أجل الدِّفاع عن عقيدتهم، والحرص على نشر دعوتهم في شتَّى الأقطار، وهو ما أوجد شعراً وافراً يواكب تلك الغزوات، ويعبِّر عنها، ويستلهم المفهومات الدِّينيَّة في مضامينه التي يتناولها.

وقد آثرت أن تتناول هذه الدِّراسة (**شعر غزوات النَّبيِّ** ρ) للوقوف على هذا الشِّعر، ومعرفة أبعاده وتصوُّراته، وما يحمله من قيم فنِّيَّة وسمات خاصَّة.

مشكلة البحث :

تناول البحث الجوانب الموضوعية والجوانب الفنية في شعر غزوات النبي ε، ومعرفة أثر الدعوة الإسلامية في ذلك الشِّعر الذي انطوى على بعض القيم الجديدة التي جاءت بها هذه الرسالة الخالدة.

حدود البحث :

يتناول هذا البحث شعر الغزوات في عهد النبي ε في مختلف المواقع منذ بعثته حتى وفاته ε ، وتشتمل على المعارك التي دارت في عهد النبي ε ابتداءً من موقعة (بدر) في السنة الثانية للهجرة، حتى (فتح مكة) في السنة الثامنة للهجرة .

وأهداف البحث :

1. قياس جودة الشِّعر الإسلامي في جانب الغزوات .
2. النظر في معاني شعر غزوات النبي ε .
3. معرفة نوع العاطفة وقوتها وأثرها في شعر غزوات النبي ε .
4. قياس تنوُّع المعجم الشِّعري في شعر غزوات النبي ε .

ومنهج البحث:

أمَّا المنهج الذي اتَّبعته في هذه الدِّراسة فيقوم على الجمع بين المنهجين الاستقرائي والتَّحليلي الفنِّي في الوقوف عند شعر الغزوات، وبيان الجوانب التي تناولها، وإبراز الأثر النَّفسي للإسلام في شعر الغزوات، وهو منهج يفصح عن وظيفة الشِّعر في بداية العصر الإسلامي، انتهجه بعض الباحثين في دراساتهم للشعر في تلك الحقبة[1]. وقد اقتصرت الدراسة على الغزوات التي قيل فيها شعر، أمَّا التي لم يرد فيها شعر فقد استثنيتها، وأوردت ما جاء نادراً من شعر في بعض الغزوات في ثنايا البحث، كما تناولت الدراسة الجوانب الفنية في شعر الغزوات وذلك من خلال الوقوف على بعض القيم الفنِّيَّة والسمات الأسلوبيَّة.

خطة البحث :

(1) راجع: العصر الإسلامي د. شوقي ضيف : 68-69، الشِّعر الإسلامي في صدر الإسلام، د. عبد الله الحامد : 105، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام د. أيهم القيسي: 317، التَّأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة د. عبد الرحيم زلط، والأدب في عصر النُّبوة والراشدين د. صلاح الدين الهادي : 259، في أدب الإسلام . عصر النُّبوة والراشدين وبني أمية . لمحمد عثمان علي : 22.

وقد تكوَّنت خطَّة البحث من فصلين، يسبقهما مقدِّمة، وتتلوهما الخاتمة، وتفصيل ذلك كالآتي:

الفصل الأوَّل بعنوان: (الشِّعر في مواكبة الغزوات). واشتمل على المباحث التَّالية:

(1) – غزوة بدر.
(2) – غزوة أحد.
(3) – غزوة الخندق.
(4) – غزوة مؤتة.
(5) – فتح مكّة.

أمَّا الفصل الثَّاني فهو بعنوان: (القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات).

واشتمل على المباحث التَّالية:

(1) أثر القرآن الكريم في أسلوب الشِّعر.
(2) اللُّغة الشِّعريَّة.
(3) الصُّورة الفنِّيَّة.

وأخيراً جاءت الخاتمة، وتضمَّنت خلاصة للبحث.

أمَّا الفهرسان، فكان أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنَّه خير مسؤول. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

الفصل الأول: الشِّعر في مواكبة الغزوات

كان عصر صدر الإسلام حافلاً بالوقائع المتوالية ضدّ المشركين، إذ كانت المعارك تدور معركة في إثر معركة، وقد أوجد ذلك صوراً مفعمة بالبسالة والتّضحية بين المجاهدين الذين كانوا يلاقون عتاة المشركين ويتصدَّون لهم، ويوقعون بهم الهزائم، وذلك ما صوره الشِّعر في تلك الفترة، فقد واكب الأحداث، وأبرزها في صورة واضحة للعيان، تعبِّر عن عظم المهمَّة التي قام بها أولئك المجاهدون، وما قدموه خلالها من التضحية بالنفس والنَّفيس.

هو ما يدلِّل على الدور العظيم الذي قام به الرسول الكريم ρ فقد استطاع أن يطوِّر الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدِّينيَّة والحربيَّة خلال- عقدين ونيِّف من الزَّمن، وأن يجهِّز الجيوش والفرسان لنشر الدَّعوة الإسلاميَّة في مختلف الأمصار وقد صوَّر الشُّعراء غزوات الرَّسول ρ ومعاركه، وعلى رأسهم حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة – رضوان الله عليهم أجمعين – الذين جاء شعرهم ناطقاً حيّاً ومعبِّراً صادقاً عن المعارك والغزوات، سواءً أكانت داخل الجزيرة العربيَّة أم خارجها، فجاء الشعر مفعماً بتصوير تلك الملاحم البطوليَّة، التي سطَّرها المسلمون، وقدَّموا خلالها أروع التَّضحيات من أجل نصرة الدَّعوة الإسلاميَّة.

ومن يتأمَّل في أثر الشِّعر في تلك الحقبة الزمنيَّة، وقدرته على حفز الهمم والعزائم يدرك ما كان ينبغي أن يصنعه الشِّعر من تأثير فاعل في مواجهة الأعداء الذين ما فتئوا يسيئون للدَّعوة الإسلاميَّة ويهجون الرسول الكريم والمسلمين، وهو ما ظهر جليّاً في أشعارهم التي ردَّت عادية الأعداء، وتصدَّت لسهامهم، فكانت تقوم بمهمَّة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وذلك ما أبان عنه بوضوح الحديث النَّبويُّ الشَّريف الذي روته عائشة-رضي الله تعالى عنها- أنَّ رسول الله ρ قال: «اهجوا قريشاً فإنَّه أَشَدُّ عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم،

فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم إلى حسَّان بن ثابت، فلمّا دخل حسَّان قال: قد آن لكم أن تُرْسِلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه ثم قال: والذي بعثك بالحقِّ لأفرينَّهم فري الأديم، فقال رسول الله ρ: لا تعجل فإنَّ أبا بكرٍ أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتَّى يلخِّص لك نسبي، فأتاه حسَّان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحقِّ لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرة من العجين». قالت عائشة: فسمعت رسول الله ρ يقول: «لقد هجاهم حسَّان فشفى واشتفى»[1].

وقد عدَّ النبي ρ الشِّعر المدافع عن الإسلام نوعاً من أنواع الجهاد، وذلك في قوله ρ: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نَضْحُ النَّبْلِ»[2].

فكان شعراء المسلمين يشاركون بقصائدهم في كل ما يعرض من أحداث، ويصفون المعارك الإسلامية.

وسوف يظهر بوضوح أثر شعر الغزوات في وصف المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين، وإبراز القيم الإسلاميَّة السَّامية التي أفصح عنها المسلمون، وهم يسيرون في الغزوات، ويخوضون المعارك، وتتحقَّق لهم الفتوح التي طالما انتظروها، لينشروا دعوتهم الإسلاميَّة في كلِّ الآفاق، ويعلنوا عن دينهم الحقّ الذي ارتضاه المولى – عزَّ وجلَّ – ديناً لكلِّ البشريَّة. وفي مقدِّمة تلك الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد النَّبيِّ ρ .

(1) غزوة بدر:

(1) صحيح مسلم 1935/4.

(2) مسند الإمام أحمد 465/3.

لقد سجَّل الشِّعر غزوات النَّبيِّ ρ والوقائع التي دارت بين المسلمين والمشركين، وقد كانت البداية الأولى غزوة بدر التي التقى فيها المسلمون بجحافل قريش، وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وقتلوا كبار رجالهم، وتركوهم مجندلين في أرض المعركة، حيث قُتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من كبار المشركين الذين تحالفوا على حرب المسلمين، وهو الجانب الذي صوَّره حسَّان بن ثابت τ في قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى مكَّةَ الَّذِي ... قَتَلْنَا مِنَ الكُفَّارِ فِي سَاعَةِ العُسْرِ
قَتَلْنَا سَرَاةَ القَومِ عِنْدَ رِحَالِهِمْ ... فلم يَرْجِعُوا إلاّ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وعُتْبَةَ بَعْدَهُ ... وَشَيْبَةَ أَيْضاً عِنْدَ ثَائِرَةِ الصَّبْرِ[1]
وكم قد قَتَلْنَا من كَرِيمٍ مُرَزَّءٍ ... له حَسَبٌ في قومِهِ نَابِهِ الذِّكْرِ
تَرَكْناهُمُ للخَامِعَاتِ[2] تَنُوبُهم ... ويَصْلَوْنَ ناراً ثمّ نائِبَةِ القَعْرِ
بِكُفْرِهِمُ باللهِ والدِّينُ قائمٌ ... ومَا طَلَبُوا فِينَا بِطَائِلَةِ الوِتْرِ
لَعَمْرِي لقد قَلَّتْ كَتَائِبُ غَالِبٍ ... وما ظَفِرَتْ يومَ الْتَقَيْنَا عَلَى بَدْرِ
لَقَدْ شَقِيَتْ كَعْبٌ جميعاً وعامرٌ ... بأسيافنا يَوْمَ الْتَقَيْنَا على بَدْرِ
قَتَلْنَاهُمُ قَتْلَ الكِلابِ فَلَمْ نَدَعْ ... لهم في جميع النَّاس يَا صَاحِ مِنْ فَخْرِ[3]

ولقد كان رسوخ المعتقد في نفوس الشُّعراء يدعوهم إلى التوكُّل على الله، والثِّقة به، ورجاء النصر الذي لن يفارقهم ما داموا متوكلين على خالقهم – عزَ وجلَّ– غير آبهين بالأعداء ولا بكثرة عددهم وعتادهم، وهو ما صوَّره حسَّان τ يوم بدر،

(1) عُتْبَةُ وشَيْبَة: ابنا ربيعة بن عبد شمس من كبار قريش وساداتها، وقد قُتلا في بدر.
(2) الخَامِعَاتُ: الخَامِعَةُ الضَّبُعُ، سُمِّيت كذلك لأنَّها تَخْمَع إذا مشت. (انظر: اللسان 79/8).
(3) ديوان حسان بن ثابت :266. تحقيق: د. سيد حنفي حسنين.

عندما لقوا الكفَّار بعزيمة قويَّة، وإرادة عالية، فكان النصر حليفهم، رغم كثرة عدد المشركين، حيث يقول في هذا المعنى:

فَمَـــا نَخْشَـــى بِحَـــوْلِ اللهِ قَوْمـــاً وإن كَثُـــرُوا وأُجْمَعَـــتِ الزُّحـــوفُ
إذا مـــا أَلَّبُـــوا جَمْعـــاً عَلَيْنَـــا كفانـــــا حدَّهـــــم رَبٌّ رؤوفُ
سَـــمَوْنَا يـــومَ بـــدرٍ بالعـــالي سِرَاعـــاً مـــا تُضَعْضِـــعُنَا الحُتُـــوفُ
فَلَـمْ تَـرَ عُصْـبَةٌ فـي النَّـاسِ أنكـى لِمَـــنْ عَـــادُوا إِذَا لَقِحَـــتْ كشُـــوفُ
ولكنَّـــا تَوكَّلْنَـــا وقُلْنَـــا مـــآثِرُنَا ومَعْقِلُنَـــا السُّيُـــوفُ
لَقِينَاهُـــمْ بهـــا لمَّـــا سَمَوْنـــا ونحـــن عِصَـــابَةٌ وهُـــمُ أُلُـــوفُ[1]

فهذه الأبيات تحمل في دلالتها المعنى العميق لآيات القرآن الكريم في نفس الشاعر، فقد استلهم قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأنفال، وأبان عنه في البيت الأوَّل: ﴿ك ك ك و و و و و و و ي ي ﴾ [2].[3]

حيث تحمل الأبيات الشِّعرية معاني التَّضحية والفداء، والرَّغبة في الجهاد في سبيل الله صفَّاً واحداً، ونبذ الهيبة من الأعداء مهما بلغوا من الكثرة في العدد والعتاد، وهذه العزيمة الصادقة أبرزتها كثير من القصائد الشِّعريَّة التي تناولت الغزوات، ووصفت ما دار فيها من قوَّة المواجهة بين الجيشين.

وفي وصف غزوة بدر يشير حسان τ إلى عظم قدرة الله تعالى، وكيف أنه نصر جنده في تلك الموقعة، وخذل المشركين المعاندين، الذين تكبَّروا وتجبَّروا على دعوة الحقِ، فأمهلهم الله وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول:

وَخَبِّـــرْ بالَّـــذي لا عَيْـــبَ فيـــهِ بِصِـــدْقٍ غيـــرِ إِخْبَـــارِ الكَـــذُوبِ

---

(1) ديوان حسَّان بن ثابت :391.

(2) سورة الأنفال، الآية: 44.

(3) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة ، د. عبد الرحيم زلط :142.

بمَـا صَـنَعَ المَلِيـكُ غَـدَاةَ بَـدْرٍ لنـا فـي المشـركينَ مـنَ النَّصـيبِ
غَـدَاةَ كـأنَّ جَمْعَهُـمُ حِـرَاءٌ بَـدَتْ أرْكَانُـهُ جُـنْحَ الغُـرُوبِ
فَلاَقَيْنَاهُـمُ مِنَّـا بِجَمْـعٍ كَأُسْـدِ الغـابِ مِـنْ مُـرْدٍ وَشِـيبِ
أمَـامَ مُحَمَّـدٍ قَـدْ آزَرُوهُ عَلـى الأعْـدَاءِ فـي وَهْـجِ الحُـروبِ
بأيـديهمْ صَـوارِمُ مُرْهَفَـاتٌ وكـلُّ مجـرِّبٍ خَـاظِي الكُعُـوبِ
فَغَـادَرْنَا أَبَـا جَهْـلٍ صريـعاً وعُتْبَـةَ قـدْ تركنـا بالجَبُـوبِ
وشـيبة قـدْ تركنـا فـي رجـالٍ ذوي حَسَـبٍ إذا انْتَسَـبُوا حَسِـيبِ[1]

حيث أبانت هذه الأبيات عن شدَّة موقعة بدر، وما حدث فيها من قتل سادة قريش وفرسانهم، فقد تُركوا مجندلين في أرض المعركة والطَّير تحوم فوقهم في مشهد يدلُّ على بسالة المجاهدين، وتمكُّنهم من أعدائهم. ولا غرابة في ذلك فقد كانت التَّضحية والفداء تتقدَّمان تلك المعركة، وذلك حين تسابق الصَّحابة – رضوان الله عليهم– لحمل السِّلاح ومقاتلة أعداء الإسلام، وذلك سعياً وراء رضوان الله تعالى، وطمعاً بجنَّته التي وعد بها الشُّهداء في سبيله. وحينما قال الرَّسول ρ يوم بدر: «والذي نفس محمَّد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلاّ أدخله الله الجنَّة»[2]، فقال عُمير بن الحُمام السُّلمي τ، وكان يأكل تمرات بيده: بخٍ بخٍ، فما بيني وبين أن أدخل الجنَّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء ! ثمَّ قذف التَّمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتَّى قُتل، وهو يقول:

رَكْضـاً إلـى الله بغـيرِ زَادِ إلاّ التُّقـى وعَمَـلِ المَعَـادِ
والصَّـبْرِ فـي اللهِ عَلَـى الجِهَـادِ وكـلُّ زَادٍ عُرْضَـةُ النَّفَـادِ

(1) ديوان حسَّان بن ثابت :134–135.

(2) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام 627/1، تحقيق: مصطفى السَّقا وآخران.

(2) غزوة أحد:

تعدُّ غزوة أحد الموقعة الثانية التي دارت بين المسلمين وكفَّار قريش بالمدينة المنورة، وذلك حين عزم كفار قريش على أن يثأروا لهزيمتهم ببدر، وما أصابهم فيها من الخسائر في الأرواح والأموال وسقوط هيبتهم، حيث بدأوا يعدُّون العدَّة لأخذ الثَّأر من المسلمين، فجمعوا قبائلهم وعشائرهم ومن حالفهم من مكَّة وجوارها وجاءوا قاصدين النَّيل من رسول الله ρ في عدد من الرّجال يزيد على الثلاثة آلاف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين الذين خرجوا وثبتوا لهذه المعركة لا يزيد على الأربعمائة مجاهد، وقد انتهت المعركة لصالح المشركين، حيث استطاع الكفَّار قتل بعض قادة المسلمين، وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطَّلب τ ورجع الرَّسول ρ بمن معه من الرِّجال إلى المدينة، بينما عادت جحافل الكفَّار ومعهم جرحاهم وبقلوبهم فرحة الثَّأر لقتلاهم في بدر التي حاقت بهم الهزيمة فيها.

وقد كان للشِّعر دوره في غزوة أحد، حيث وصف الشُّعراء ما دار فيها من أحداث ومواقف، ودارت مساجلات بين شعراء المسلمين وشعراء الكفَّار، ورثى الشُّعراء من استشهدوا في تلك الغزوة، وفي مقدِّمتهم حمزة بن عبد المطَّلب τ[2].

وأولى هذه القصائد التي نظمها الشُّعراء في تلك الغزوة قصيدة حسَّان بن ثابت τ الَّتي ردَّ فيها على هُبيرة بن أبي وهب المخزومي – شاعر المشركين – الذي خالجه السُّرور والتَّعالي بما حقَّقه قومه في أُحد، وهو ما ظهر في قصيدته التي يقول مطلعها:

(1) تاريخ الرُّسل والملوك للطَّبري 448/2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(2) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :161.

سُـقْنَا كِنَانَــةَ مِــنْ أَطْــرَافِ ذي يَمَــنٍ عُـرْضِ الْـبِلَادِ عَلَـى مـا كـانَ يُزْجِيهـا[1]

فقد ردَّ عليه حسَّان بن ثابت τ بقوله:

سُـقْتُمْ كِنَانَـةَ جَهْـلاً مِـنْ سَـفَاهَتِكُمْ إِلَـى الرَّسُـولِ فَجُنْـدُ اللهِ مُخْزِيهـا
أَوْرَدْتُمُوها حِيَاضَ المَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّـارُ مَوْعِـدُها، والقَتْـلُ لاقِيهـا
أَنـتم أَحَـابِيشُ جُمِّعْـتُمْ بِـلا نَسَـبٍ أَئِمَّــةُ الكُفْــرِ غَــرَّتْكُمْ طَوَاغِيهــا
هَـلاّ اعْتَبَـرْتُمْ بِخَيْـلِ اللهِ إِذْ لَقِيَـتْ أَهْـلَ القَلِيـبِ ومَـنْ أَرْدَيْنَــهُ فِيهَـا
كَـمْ مِـنْ أَسِـيرٍ فَكَكْنَــاهُ بِـلا ثَمَـنٍ وَجَــزِّ نَاصِــيَةٍ كُنَّــا مَوَالِيهــا[2]

حيث يشير حسَّان τ إلى صنيع المشركين وجهلهم، حين ساقوا جيوشهم من بني كنانة لقتال النبي ρ والمسلمين وكيف أنهم رجعوا خائبين خاسرين أمام جند الله الذين أذاقوهم مرارة الهزيمة، بل يشير حسَّان إلى صنيع المسلمين بأسرى بدر الذين أطلقوهم بلا ثمن، ليعلم أولئك عظمة النَّصر الذي حقَّقه المسلمون وعلو مكانته.

أمَّا كعب بن مالك τ فقد أجاب هُبيرة بقصيدة طويلة وصفت ما دار في غزوة أُحد، وما حفلت به الموقعة من شدَّة وضراوة، حيث بدأ قصيدته بوصف مكان المعركة، وأنَّها كانت أرضاً صعبة المسالك وعرة الدُّروب، لا يسلكها إلاّ حمر الوحش أو النَّعام، وقد امتلأت بالجيف من مخلَّفات الوحوش وعظام الفرائس[3]، يقول:

أَلا هَـلْ أَتَـى غَسَّـانَ عَنَّـا ودُونَـهُـمْ مِـنَ الأَرْضِ خَـرْقٌ سَـيْرُهُ مُتَتَعْنِـعُ[4]
صَــحَارٍ وأَعْــلامٌ كَــأَنَّ قَتَامَهــا مِـنَ الْبُعْـدِ نَقْـعٌ هَـامِدٌ مُتَقَطِّـعُ[5]

---

(1) السِّيرة النَّبويَّة 130/3.

(2) ديوان حسَّان بن ثابت :205.

(3) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :163.

(4) الخرق: الفلاة التي تتخرق فيها الرِّيح. ومتتعنع: مضطرب.

(5) الأعلام: الجبال المرتفعة. والقتام: ما مال لونه إلى السَّواد.

تَظَـلُّ بِــهِ البُـزْلُ العَرَامِيــسُ رُزَّحــاً وَيَخْلُـو بِـهِ غَيْـثُ السِّـنِينِ فَيُمْـرِعُ[1]
بِــهِ جِيَـفُ الحَسْـرَى يَلُـوحُ صَـلِيبُها كَمَـا لاحَ كِتَّـانُ التجـار المُوَضَّـعُ[2]
بِــهِ العِـينُ والآرَامُ يَمْشِـينَ خِلْفَـةً وبــيض نَعــامٍ قَيْضُــه[3] يَتَقَلَّــعُ[4]

ثمَّ يصف كعب τ بطولة المؤمنين الذَّائدين عن دين الله، مذكِّراً المشركين في أُحد بهزيمتهم السَّاحقة التي واجهتهم في بدر، يقول:

مُجَالِـدُنَا عَـنْ دينِنـا كـلُّ فَخْمَـةٍ[5] مُذَرَّبَــةٍ فيهــا القَــوَانِسُ تَلْمَــعُ[6]
وكـلُّ صـموتٍ فـي الصُّـوانِ كأَنَّهـا إذا لُبِسَـتْ نِهْـيٌ مـن المـاء مُتْـرَعُ[7]

ولكــنْ بِبَــدْرٍ سَــائِلُوا مَــنْ لَقِيتُــمُ مــن النَّــاسِ، والأَنْبَــاءُ بالغَيْــبِ تَنْفَــعُ[1]

ثم يشير كعب τ إلى الاستعداد النَّفسي لتلك الموقعة، وكيف أنّ الكفَّار ضربوا خيامهم وأبنيتهم بأرض المعركة، ورأى المؤمنون كثرتها فتشاوروا فيما بينهم ماذا يمنعهم من السُّكوت على ما بدأهم به الكفَّار؟ وكيف لا يتشاورون مع رسول الله ρ فيما ينبغي فعله ؟ فقوله الحقُّ، ومن أعرض عن نصحه فقد باء بالخسران، وبعد المشاورة أبان لهم الرَّسول ρ أنَّ من كانت نيَّته للجهاد حقيقةً والطَّمع فيما عند الله

(1) البُزْل: جمع بازل وهو البعير القويّ. والعِرْمِسُ: النَّاقة الشَّديدة. ويمرع: يخصب.
(2) الصَّليب: ودك العظام. والموضَّع: المبسوط والمنقوش.
(3) العِينُ: البقر الوحشي. الآرام: الظِّباء. القيض: قشر البيض الأعلى.
(4) ديوان كعب بن مالك :222.
(5) قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال: مجالدنا عن جِذْمنا كل فخمة. فقال رسول الله ρ: أيصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله ρ: فهو أحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا. (انظر السِّيرة النَّبويَّة 136/2).
(6) مجالدُنا: مدافعنا. والفخمةُ: الكَتيبةُ العظيمة. المُذَرَّبَةُ: المتعودةُ على القتال الماهرة فيه.
(7) الصَّمُوتُ: الدِّرع. الصوانُ: كل ما يُصان فيه الشَّيءُ، درعاً كان أو ثوباً أو غيرهما. النِّهْيُ: الغديرُ. ومُتْرَعٌ: أي: مملوءٌ ماءً.

تعالى فعليه أن يشمِّر لذلك؛ ليظفر بما أعدَّه الله – عزَّ وجلَّ – لعباده المؤمنين الصَّادقين[2]، وفي ذلك يقول:

ولَمَّا ابْتَنَوْا بالعِرْضِ[3] قَالَ سَرَاتُنا عَلامَ إذا لم نَمْنَع العِرْضَ نَزْرَعُ ؟
وفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا القَوْلَ لا نَتَطَلَّعُ
تَدَلَّى عليه الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ ربِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ ويُرْفَعُ
نُشَاوِرُهُ فيما نُرِيدُ وقَصْرُنَا[4] إذا ما اشْتَهَى أَنَّا نُطِيعُ ونَسْمَعُ
وَقَالَ رَسُولُ الله لَمَّا بدوا لنا ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ المَنِيَّاتِ واطمعوا
وكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيَاةَ تَقَرُّباً إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ ويُرْجَعُ
ولكن خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وتَوَكَّلُوا على الله إِنَّ الأَمْرَ للهِ أَجْمَعُ
فَسِرْنَا عليهم جَهْرَةً في رِحَالِهِمْ ضُحَيّاً عَلَيْنَا البِيضُ لا نَتَخَشَّعُ[5]

ثم يصل كعب τ إلى وصف المعركة وأحداثها، بدءاً من بيان عدد المقاتلين من الطَّرفين، وانتهاءً بما حدث في أرض المعركة من التحام الجيشين، حيث تُسدَّد الطَّعنات، وتُصوَّب الرِّماح، وتهرع الخيول، وتسبح في الفضاء كأنَّها الجراد المنتشر،[6] وفي ذلك يقول:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ أَحَابِيشُ منهم حَاسِرٌ ومُقَنَّعُ

---

(1) ديوان كعب بن مالك :223.
(2) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :165.
(3) العِرض: موضع خارج المدينة. وكلُّ وادٍ فيه شجر فهو عِرض.
(4) قَصْرُنَا: غايتنا ونهاية أمرنا.
(5) ديوان كعب بن مالك :224 – 225.
(6) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :166.

ثَلَاثَـــةُ آلافٍ ونحـــنُ نَصِيَّـــةٌ[1] ثَـــلَاثُ مِئِـــينٍ إِنْ كَثُرْنَـــا وأَرْبَـــعُ
نُغَاوِرُهُـــمْ تَجْـــرِي المَنِيَّـــةُ بَيْنَنَـــا نُشَـارِعُهُمْ[2] حَـوْضَ المَنَايَـا ونَشْـرَعُ
تَهَـادَى قِسِـيُّ النَّبْـعِ فينـا وفيهـمُ ومـا هُـوَ إلاّ اليَثْرِبِـيُّ[3] المُقَطَّـعُ
ومَنْجُوفَـــةٌ حِرْمِيَّـــةٌ صَاعِدِيَّـــةٌ[4] يُـذَرُّ عليهـا السُّـمُّ سـاعةَ تُصْنَـعُ
تَصُـــوبُ بِأَبْـــدَانِ الرِّجَـــالِ وتَـــارَةً تَمُـــرُّ بِـــأَعْرَاضِ البِصَـــارِ تُقَعْقِـــعُ[5]
وخَيْـــلٌ تَرَاهـــا بالفَضَـــاءِ كأَنَّهـــا جَـــرَادُ صَـــباً فـــي قَـــرَّةٍ يَتَرَيَّـــعُ[6]
فَلَمَّـــا تَلاقَيْنَـــا ودَارَتْ بِنَـــا الرَّحَـــى ولَـــيْسَ لأَمْـــرٍ حَمَّـــهُ اللهُ مَـــدْفَعُ
ضَـــرَبْنَاهُمُ حَتَّـــى تَرَكْنَـــا سَـــرَاتَهُمْ[7] كَـــأَنَّهُمُ بِالْقَـــاعِ خُشْـــبٌ مُصَـــرَّعُ
فَنِلْنَـــا وَنَـــالَ القَـــوْمُ مِنَّـــا ورُبَّمَـــا فَعَلْنَـــا، ولكـــنْ مـــا لَـــدَى اللهِ أَوْسَـــعُ
ودَارَتْ رَحَانَـــا، واسْـــتَدَارَتْ رَحَـــاهُمُ وقَـــدْ جُعِلُـــوا كُـــلَّ مـــن الشَّـــرِّ يَشْـــبَعُ[8]

ويختتم كعب τ قصيدته بتعداد صفات جيش المسلمين في أنَّهم يقدمون على الحرب متى كانت دفاعاً عن عرض أو عقيدة وليس لمغنم دنيوي، وأنَّهم تدرَّبوا على الحرب وألفوها، فلا يهابون أعداءهم، ولا يتراجعون في المواجهة، وقد عرفوا

(1) النَّصِيَّةُ: الخيارُ من القوم.
(2) نُغَاورهم: أي نغير عليهم. ونُشَارعهم: أي نشاربهم.
(3) اليَثْرِبِيُّ: الأوتار، نسبةً إلى يثرب.
(4) المنجوفةُ: السِّهامُ المثقَّفة. والحرميَّةُ: نسبةً إلى أهل الحرم. والصَّاعديَّةُ: نسبة إلى صاعد، وهو صانع معروف.
(5) تَصُوبُ: تقع. والبِصَارُ: الحجارةُ اللينةُ. وتُقعقعُ: تُصَوِّت.
(6) الصَّبَا: ريحٌ شرقيَّة. والقَرَّةُ: البردُ. ويَتَرَيَّعُ: يجيء ويذهب.
(7) سَرَاتُهم: خيارهم.
(8) ديوان كعب بن مالك :225 – 227.

آداب القتال فلا يجزعون إن أُصيبوا، فالحرب سجال دائماً، وإن ظفروا بالعدوّ فلا فحش ولا تمثيل بالقتلى أو إذلال للأسرى وإنَّما منهج الإسلام في معاملة المتحاربين والأسرى[1]، حيث يقول كعب واصفاً بطولة ذلك الجيش المسلم:

ونحن أُناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً عَلَى كلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمارَ[2] ويَمْنَعُ
ولكنَّنا نَقْلِي الفِرَارَ، ولا نَرَى الـ ـفِرَارَ لمن يرجو العَوَاقِبَ يَنْفَعُ
جِلادٌ[3] على ريب الحوادث لا ترى على هَالِكٍ عَيْناً لنا الدَّهرَ تَدْمَعُ
بنُو الحَرْبِ لا نَعْيَا بشيءٍ نَقُولُه ولا نحنُ ممَّا جَرَّتِ الحَرْبُ نَجْزَعُ
بنُو الحَرْبِ إن نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ ولا نحنُ مِنْ أَظْفَارِها نَتَوَجَّعُ
وكُنَّا شِهَاباً يتَّقي النَّاسُ حَرَّهُ ويَفْرُجُ عنهُ من يليهِ ويُسْفَعُ[4]

وبينما كانت المعارك تدور بين المسلمين والمشركين فقد كان هناك من يفخر من المشركين بما تحقَّق في غزوة أحد ناسياً صنيع المسلمين في بدر، ومن أولئك الشُّعراء عبد الله بن الزِّبعرى[5] الذي افتخر في إحدى قصائده التي يقول فيها:

يا غُرَابَ البَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إنَّما تَنْطِقُ شَيْئاً قد فُعِلْ
كَمْ قَتَلْنَا من كَرِيمٍ سَيِّدٍ ماجِدِ الجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ

---

(1) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :168.

(2) السُّبَّةُ: العار. والذِّمار: ما يجب على الرَّجل حمايته.

(3) جِلاَدٌ: جمع جليدٍ وجَلْدٍ وهو الصَّلبُ.

(4) ديوان كعب بن مالك :227 – 228.

(5) هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدي بن سعد السَّهمي القرشي، كان شديداً على المسلمين يهجوهم ويحرِّض المشركين عليهم، وقد أسلم بعد فتح مكَّة، واعتذر من النَّبيِّ ρ عمَّا بدر منه. وكانت وفاته سنة 15هـ. (انظر: أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير 160/3).

لَيْـــتَ أَشْـــيَاخِي بِبَـــدْرٍ شَهِـــدُوا جَـزَعَ الخَـزْرَجِ مِـنْ وَقْـعِ الأَسَـلْ[1]

فانبرى لـه حسَّان بـن ثابـت τ يـردّ عليـه، ويبـيِّن لـه أنّ الحـرب سـجال بـين الطّرفين، وأنّ المسلمين قد نالوا من المشركين في أحد كما نال المشركون منهم، مذكِّراً إيَّاه بما لاقوه من الهزيمة في ((بدر))، وكيف قتل سادتهم، وهرب فرسانهم في تلك الموقعة، وباءوا بالخزي والخذلان، حيث يقول حسّان τ:

ذَهَبَـتْ بـابْنِ الزِّبَعْـرَى وَقْعَـةٌ كَـانَ مِنَّـا الفَضْـلُ فيهـا لـو عَـدَلْ
ولقـد نلتـم ونلنـا مـنكمُ وكَـذَاكَ الحَـرْبُ أحيانـاً دُوَلْ
نضـعُ الأَسْـيَافَ فـي أَكْتـافِكُمْ حيـثُ نَهْـوِي عَلَـلاً بعـد نَهَـلْ
إِذْ تُولُّـون عَلَـى أَعْقَابِكُـمْ هُرَّبـاً فـي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ[2]
إِذْ شَـدَدْنَا شَـدَّةً صادقـةً فأجأناكـم إلـى سَـفْحِ الجَبَـلْ
وعَلَوْنَـا يَـوْمَ (بَـدْرٍ) بـالتُّقَى طَاعـةِ اللهِ، وتَصْـدِيقِ الرُّسُـلْ
وتَرَكْنَـا فـي قُرَيْـشٍ عَـوْرَةً يَـوْمَ بَـدْرٍ وَأَحَـادِيثَ المَثَـلْ[3]

أمَّا كعب بن مالك τ فيردُّ في قصيدته اللاميَّة على كلِّ من تطاول على المسلمين من شعراء قريش، ويوضِّح لهم أنَّه إذا كان هناك من قادة المسلمين من قُتل في (أُحد)، وهو ما أفرح المشركين وشعراءهم فإنَّ عليهم أن يعودوا بذاكرتهم إلى ما أصابهم في (بدر)، وما واجهوه من صور البطولة والتَّضحية التي أبداها المسلمون[4]، حيث يقول:

---

(1) شعر عبد الله بن الزِّبعرى :41 – 42، تحقيق: د. يحيى الجبوري.
(2) الرَّسَلُ: الإبل المرسلة بعضها في إثر بعض.
(3) ديوان حسَّان بن ثابت :93 – 94.
(4) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :170.

أَبْلِـغْ قُرَيْشـاً وَخَيْـرُ القَـوْلِ أَصْدَقُـهُ ... والصِّـدْقُ عنـدَ ذَوِي الأَلْبَـابِ مَقْبُـولُ
أَنْ قَـدْ قَتَلْنَـا بقتلانـا سَرَاتَكُـمُ ... أَهْـلَ اللّـواءِ، ففيـم يكثـرُ القِيـلُ؟
ويـومَ بَـدْرٍ لَقِينَـاكُمْ لَنَـا مَـدَدٌ ... فِيـهِ مـع النَّصـر مِيْكَـالٌ وجبريـلُ
إِنْ تَقْتُلُونـا فَـدِينُ اللَّـهِ فِطْرَتُنـا ... والقَتْـلُ فـي الحـقِّ عنـد اللهِ تَفْضِـيلُ
وإِنْ تَـرَوْا أَمْرَنـا فـي رأيكُـم سَفَـهاً ... فَـرَأْيُ مَـنْ خَـالَفَ الإسـلامَ تَضْـلِيلُ
فَـلَا تَمَنَّـوْا لِقَـاحَ الحَـرْبِ واقْتَعِـدُوا ... إِنَّ أَخَا الحَرْبِ أَصْدَى اللونِ مَشْعُولُ[1]
إِنَّ لَكُـمْ عِنْـدَنَا ضَرْبـاً تَـرَاحُ لَـهُ ... عُـرْجُ الضِّـباعِ لـه خَـذْمٌ رَعَـابِيلُ[2]
إِنَّـا بنُـو الحَـرْبِ نَمْرِيهـا ونَنْتُجُهـا ... وعنـدنا لِـذَوِي الأَضْـغَانِ تنكـيلُ[3]

وكما يظهر فقد أثَّرت غزوة أُحد في نفوس الشُّعراء في عهد النَّبيِّ ρ، ودعتهم إلى التَّجاوب معها، والتَّعبير عن مواقفها وأحداثها، والتَّصدِّي لمن حاول الإساءة للنَّبيِّ ρ وللمسلمين، وهو ما قام به شعراء المشركين بعد الموقعة، الأمر الذي دعا شعراء المسلمين إلى الرَّدِّ عليهم، وكشف أكاذيبهم وتخرُّصاتهم، وبيان أثر الإسلام في كلِّ ما تحقَّق للمسلمين من عزَّة ومنعة.

(3) غزوة الخندق:

في السَّنة الخامسة للهجرة تجمَّعت قوى الشِّرك لمحاربة النَّبيِّ ρ والمسلمين بالمدينة، وتزعَّم أبو سفيان تلك الجموع من القرشيِّين ومن والاهم من غطفان والقبائل المجاورة، ويأتي الجميع إلى المدينة المنوّرة قاصدين القضاء على الإسلام

(1) لِقَاحُ الحَرْبِ: زيادتها ونموُّها. وأصدى اللون: لونُه بين السَّواد والحُمْرَة. ومَشْعُولٌ: أي متَّقد متلهِّب.
(2) تَرَاحُ: تفرحُ وتهتزُّ. والخذمُ: قطعُ اللَّحم. والرَّعابيلُ: المُتَقَطِّعةُ.
(3) ديوان كعب بن مالك :255 – 256.

بجحافلهم وعدَّتهم الحربيَّة التي لم يكن للمسلمين قِبَل بها، ولم يكتفوا بذلك بل تعاهدوا مع يهود بني قريظة في حصونهم حول المدينة من أجل القضاء على المسلمين.

ولمَّا علم رسول الله ρ بتآمرهم وتحزُّبهم جمع المسلمين وأعلمهم ما عزم عليه أبو سفيان ومَنْ والاه من غطفان واليهود، وتشاور معهم، وانتهت مشورتهم بحفر خندق حول المدينة حتَّى يمكنهم التَّحصُّن فيها، فإذا دهمهم العدوّ نالوه ولا ينالهم، وبدأ المسلمون حفر الخندق، وكان الرَّسول ρ يعاونهم في حفره ويشدّ من عزيمتهم، ويرغبهم فيما عند الله تعالى من الأجر[1]، حتى إذا اكتمل حفر الخندق جاءت فلول المشركين التي تجمَّعت من قبائل عدَّة، وتحزَّبت لحرب المسلمين، يقودهم إلى ذلك طمعهم واستكبارهم وعتوهم، حيث نزلوا بجانب أُحُد[2]، وهناك ظهر لهم المسلمون الذين كان عددهم يقدَّر بثلاثة آلاف، والخندق يفصل بين الفريقين، فخرج من بين صفوف المشركين عمرو بن ود العامري – وكان مُعْلَماً – وقال: مَنْ يُبارز؟ فخرج له من المسلمين عليٌّ بن أبي طالب τ وقال له: يا عمرو إنَّك عاهدتَ الله أَلاّ يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلَّتين إلاّ أخذتها منه، فقال له: أَجَلْ، فقال له عليٌّ: فإنِّي أدعوك إلى النِّزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فو الله ما أُحبُّ أن أقتلك، فقال له عليٌّ: لكنِّي والله أُحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثمّ أقبل على عليٍّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليٌّ τ وخرجت خيلهم منهزمة، حتَّى اقتحمت من الخندق هاربةً[3].

وقد وصف عليٌّ τ ذلك الحدث والموقف الشُّجاع الَّذي أبان عن قوَّة المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام في أبيات شعريَّة، قال فيها:

(1) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :194.
(2) السِّيرة النَّبويَّة 216/2 – 217.
(3)السِّيرة النَّبويَّة 225/2.

نَصَرَ الحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ونَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي

فَصَدَدْتُ حين تَرَكْتُه مُتَجَدِّلاً كالجِذْعِ بينَ دَكَادِكٍ ورَوَابِي[1]

وعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ ولَوَ انَّنِي كُنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي[2]

لا تَحْسَبَنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ ونَبِيِّهِ يا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ[3]

وقد شكَّك ابن هشام في نسبة هذه الأبيات لعليّ بن أبي طالب τ[4].

ولم يكن تحزُّب الأعداء واتِّحادهم لحرب المسلمين أمراً يثير الهيبة أو الخوف في قلوب المجاهدين، الذين نذروا أنفسهم للدِّفاع عن عقيدتهم، ونصرة نبيِّهم ρ حيث لقاء الأعداء هو لقاء الشَّجاعة، والنُّصرة، والتَّضحية لقوم دَرِبوا على القتال، وعَلَّموا أنفسهم في الحرب حتَّى أصبحوا ظاهرين للنَّاس جميعاً، وكأنَّهم أسود يحمون عرينهم، ويدافعون عن رسالتهم الخالدة[5].. وهي المعاني التي أشار إليها كعب بن مالك τ في قصيدته التي قالها يوم الخندق، حيث قال:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ[6]

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سُيوفُها بينَ المِذَادِ وبينَ جِزْعِ الخَنْدَقِ[7]

---

(1) مُتَجَدِّلاً لاصقاً بالأرض. والجِذْعُ: فرع النَّخلة. والدَّكْدَكُ والدَّكْدَاكُ: أرضٌ فيها غلظ، والجمعُ دَكَادِكٌ.

(2) المُقَطَّرُ: الذي ألقي أحد قطريه، أي جنبيه، والقطر: الجانب. وبزَّني: سلبني.

(3) السِّيرة النَّبويَّة 225/2.

(4) المصدر السَّابق 225/2.

(5) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :196.

(6) المعمعة: اختلاط الأصوات وشدَّةُ زجلها. الأَبَاءُ: القصبُ، ومعمعةُ الأباء: صوت الحريق في القصب.

(7) المأسدةُ: الموضع الذي تجتمع فيه الأُسود. وتُسَنُّ: تُحدُّ. والمِذَادُ: موضعٌ بالمدينة حيث حُفر الخندق، وقيل هو بين سلع وخندق المدينة. والجزعُ: الجانب.

دَرِبُـوا بِضَـرْبِ المُعْلِمِـينَ[1] وأَسْـلَمُوا مُهْجَـاتِ أَنْفُسِـهِمْ لِـرَبِّ المَشْـرِقِ

فـي عُصْـبَةٍ نَصَـرَ الإلَـهُ نَبِيَّـهُ بِهِـمُ، وكَـانَ بِعَبْـدِهِ ذَا مَرْفَـقِ[2]

ويمضـي كعـب τ فـي قصـيدته إلـى وصـف السِّـلاح، فيصـوِّر الـدُّروع تحكـي حلقاتها في سردها المحكم وشكلها الموثَّق أحداق الجنادب، فهي مستديرة الحلق، تشمِّرها للحرب حمائل السُّيوف الصَّارمة، حيث يقول:

فـي كـلِّ سَـابِغَةٍ تَخُـطُّ فُضُـولُها كَـالنِّهْيِ[3] هَبَّـتْ رِيحُـه المُتَرَقْـرِقِ

بَيْضَـاءَ مُحْكَمَـةٍ كَـأَنَّ قَتِيرَهَـا حَـدَقُ الجَنَـادِبِ ذَاتَ شَـكٍّ مُوْثَـقِ[4]

جَـدْلاء يَحْفِزُهَـا نِجَـادُ[5] مُهنَّـدٍ صَـافِي الحَدِيـدَةِ صَـارِمٍ ذِي رَوْنَـقِ

تِلْكُـمْ مَـعَ التَّقْـوَى تَكُـونُ لِبَـاسَنَا يَـوْمَ الهِيَـاجِ وكُـلَّ سَـاعَةِ مَصْـدَقِ[6]

والبيـت الأخيـر يصـوِّر أهمِّيَّـة التّقـوى والإيمـان فـي الحـروب التـي يخوضـها المسلمون؛ إذ لـيس مـن طـبعهم أن يركنـوا إلـى العدَّة الماديِّيَّـة دون أن يـدَّخروا فـي نفوسهم زاد التَّقوى الذي يوصلهم إلى غايتهم الكبرى التي يبتغونها من وراء نصرتهم للإسلام.

أمَّـا الإعـداد للمعركـة– وهـو الجانـب الـذي أُمـر بـه المسـلمون وهـم يواجهـون أعداءهم– فيشير إليه كعب بن مالك من خلال إعداد الخيول الأصيلة المضمَّرة، التي تصعد بفرسانها إلى حلبة القتال، وتمكّنهم من اصطياد أعدائهم،والظَّفر عليهم، يقول:

---

(1) المُعْلِمِينَ: الذين يُعلِّمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرفون بها.

(2) ديوان كعب بن مالك :244.

(3) السَّابغة: الدُّروع الكاملة. النِّهْي: الغديرُ من الماء.

(4) القَتِيرُ: مساميرُ الدُّروع. والجنادبُ: ذكور الجراد. والشَّكُّ: إحكام السَّرد.

(5) الجَدْلاء: الدُّروع المحكمة أو المدوَّرة الحلق. ويحفزها: يرفعها. والنِّجاد: حمائل السُّيوف.

(6) ديوان كعب بن مالك :245.

ونُعِـــدُّ للأَعْـــدَاءِ كُـــلَّ مُقَلَّـــصٍ ... وَرْدٍ ومَحْجُـــولِ القَوَائِـــمِ أَبْلَـــقِ[1]
تَـــرْدَى بِفُرْسَـــانٍ كَـــأَنَّ كُمَـــاتَهُمْ ... عِنْـــدَ الهِيَـــاجِ أُسُـــودُ طَـــلٍّ مُلْثَـــقِ[2]
صُـــدُقٌ يُعَـــاطُونَ الكُمَـــاةَ حُتُـــوفَهُمْ ... تَحْـــتَ العَمَايَـــةِ بالوَشِـــيجِ المُزْهِـــقِ[3]
أَمَـــرَ الإِلَـــهُ بِرَبْطِهَـــا لِعَـــدُوِّهِ ... فِـــي الحَـــرْبِ، إِنَّ اللهَ خَيْـــرُ مُوَفِّـــقِ
لِتَكُـــونَ غَيْظـــاً لِلْعَـــدُوِّ وحُيَّـــطاً ... لِلـــدَّارِ إِنْ دَلَفَـــتْ خُيُـــولُ النُّـــزَّقِ[4]
ويُعِينُنَـــا اللهُ العَـــزِيزُ بِقُـــوَّةٍ ... مِنْـــهُ، وَصِـــدْقِ الصَّـــبْرِ سَـــاعَةَ نَلْتَقِـــي
ونُطِيـــعُ أَمْـــرَ نَبِيِّنَـــا ونُجِيبُـــه ... وإِذَا دَعَـــا لِكَرِيهَـــةٍ لَـــم نُسْبَـــقِ
ومَتَـــى يُنَـــاد إِلَـــى الشَّدَائِـــدِ نَأْتِهَـــا ... وَمَتَـــى نَـــرَ الحَوْمَـــاتِ[5] فيهـا نُعْنِـقِ[6]

وفي هذه الموقعة تظهر أكثر من قصيدة شعريَّة وهي تنافح عن المسلمين، وتردُّ عادية الأعداء، ومن تلك القصائد قصيدة حسان بن ثابت τ التي تصدَّى فيها للرَّدِّ على شاعر الكفَّار آنذاك عبد الله بن الزِّبعرى الذي أخذ يفتخر بموقف قومه يوم الخندق، ويتطاول على المؤمنين، وذلك في قصيدته البائيَّة[7]. حيث نظم حسَّان بائيَّته التي يردُّ فيها على ابن الزِّبعرى، ويبيِّن له الهدف البائس الذي جاءوا

(1) المقلَّص من الخيول: طويل القوائم ضامر البطن. والورد: الفرس الأشقر الذي حمرة لونه ذاهبة إلى الصُّفرة. والمحجول: الذي في قوائمه بياض يخالف سائر لونه. والأبلق: إذا تجاوز البياض إلى عضديه وفخذيه.

(2) ترد: تُسرع. الكُماة: جمع كَمِيٍّ وهو الشُّجاع. المُلْثَقُ: ما يكون عن الطَّلِّ من زلقٍ وطين.

(3) العِمَايَة: سحابةُ الغُبَار وظلمتُه. والوشيجُ: الرِّماحُ. المُزْهِقُ: المُذْهِبُ للنُّفوس.

(4) دَلَفَتْ: تقدَّمت. النُّزَّقُ: الطَّائشون، السَّيئو الخلق.

(5) الحَوْمَاتُ: مواطن القتال، واحدها حَوْمَةٌ.

(6) ديوان كعب بن مالك :246 – 247.

(7) انظر: ديوان عبد الله بن الزِّبعرى :29، والقصيدة مطلعها:
حَيّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِها ... طُولُ البِلَى وتَرَاوُحُ الأَحْقَابِ

من أجله وهو قتل النبي ρ والاستيلاء على الغنائم، ولكنهم لم يظفروا من ذلك بشيء، يقول حسَّان:

حتَّـــى إِذَا وَرَدُوا المدينـــةَ وارْتَجَـــوْا قَتْـــلَ النَّبِـــيِّ وَمَغْنَـــمَ الأَسْـــلابِ

وغَـــدَوْا عَلَيْنَـــا قَـــادِرِينَ بِأَيْـــدِهِمْ رُدُّوا بِغَيْظِهِـــمُ عَلَـــى الأَعْقَـــابِ

بِهُبُـــوبِ مُعْصِـــفَةٍ تُفَـــرِّقُ جَمْعَهُـــمْ وجُنُـــودِ رَبِّـــكَ سَـــيِّدِ الأَرْبَـــابِ

وكَفَـــى الإِلَـــهُ المـــؤمنينَ قِتَـــالَهُمْ وأَثَـــابَهُمْ فـــي الأَجْـــرِ خَيْـــرَ ثَـــوَابِ[1]

ومن شعراء المشركين من ظلَّ يتوعَّد بعد هزيمة الخندق، ويعد بردٍّ قاسٍ في موقعة لاحقة يصطف منها جيش المشركين لمنازلة المسلمين، وذلك ما يعبِّر عنه شاعرهم ضرار بن الخطَّاب[2] الذي رأى أنَّ المعركة لم تنته بعد، وأن المنازلة ستكون قريبة، حيث يعبِّر عن ذلك في قصيدته النونيَّة التي قال فيها:

ومُشْـــفِقَةٍ تَظُـــنُّ بنـــا الظُّنونَـــا وقَـــدْ قُـــدْنَا عَرَنْدَسَـــةً طَحُونَـــا[3]

وســـوفَ نَـــزورُكُم عَمَّـــا قَرِيـــبٍ كَمَـــا زُرْنَاكُـــمُ مُتَوَازِرِينَـــا

بِجَمْـــعٍ مِـــن كِنَانَـــةَ غيـــر عُـــزْلٍ كَأُسْـــدِ الغَـــابِ قـــد حَمَـــتِ العَرِينَـــا[4]

لكنَّ كعب بن مالك τ يردُّ على ضرار بن الخطَّاب، ويوضِّح له طبيعة القتال معه، وأسباب النَّصر التي تنزل عليهم من خالقهم، فهم يسعون إلى رفع راية الإسلام، يتقدَّمهم النَّبيُّ ρ الذي دعاهم إلى دين الهدى والحقِّ، وحثَّهم على الصَّبر واليقين في مواجهة الأعداء، حيث قال:

---

(1) ديوان حسَّان بن ثابت :120.

(2) هو ضرار بن الخطَّاب بن مرداس القرشي الفهري، فارس شاعر، قاتل المسلمين، واسلم يوم فتح مكَّة. (انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر 337/1).

(3) العَرَنْدَسَةُ: الشَّديدةُ القويَّة، يريد الكتيبة. والطَّحون: التي تطحن كلَّ ما مرَّت به.

(4) السِّيرة النَّبويَّة 254 – 255.

(5) العِدْلُ: المِثْلُ.

وسَـــائِلَةٍ تُســـائلُ مـــا لَقِينَـــا ... ولـــو شَهِـــدَتْ رَأَتْنَـــا صَـــابِرِينَا
صَـــبَرْنَا لا نَـــرَى لِلَّـــهِ عِـــدْلاً[5] ... عَلَـــى مَـــا نَابَنَـــا مُتَوَكِّلِينَـــا
وكـانَ لنـا النَّبـيُّ وَزِيـرَ صِـدْقٍ ... بِـــهِ نَعْلُـــو البَرِيَّـــةَ أَجْمَعِينَـــا
نُقَاتِـــلُ مَعْشَـــراً ظَلَمُـــوا وعَقُّـــوا ... وكـــانوا بالعَـــدَاوَةِ مُرْصِدِينَـــا[1]
نُعَـــاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُـــوا إِلَيْنَـــا ... بِضَـــرْبٍ يُعْجِـــلُ المُتَسَرِّعِينَـــا
وفـــي أَيْمَانِنَـــا بِـــيضٌ خِفَـــافٌ ... بِهَـا نَشْـفِي مِـرَاحَ الشَّاغِبِينَـا[2]
بِبَـــابِ الخَنْـــدَقَيْنِ كـــأَنَّ أُسْـــداً ... شَـــوَابِكُهُنَّ يَحْمِـــينَ العَرِينَـــا
لِنَنْصُـــرَ أَحْمَـــداً واللَّـــهَ حتَّـــى ... نكـونَ عِبَـادَ صِـدْقٍ مُخْلِصِينَـا
ويَعْلَـمَ أَهْـلُ مَـكَّةَ حِـينَ سَـارُوا ... وأَحْـــزَابٌ أَتَـــوْا مُتَحَزِّبِينَـــا
بـــأَنَّ اللهَ لَـــيْسَ لَـــهُ شَـــرِيكٌ ... وأَنَّ اللهَ مَـــوْلَى المُؤْمِنِينَـــا[3]

وقد أراد الرَّسول ρ أن يُؤمِّن المدينة وحدودها بعد موقعة الخندق مع قريش وبخاصَّة من الفتنة التي كان يوقد جذوتها يهود بني قريظة وبني النَّضير، الذين اشتركوا في موقعة الخندق مع قريش، وقصدوا إثارة الفتنة بين النَّاس في المدينة أثناء الموقعة، حيث نقضوا عهود الأمان التي أبرمها المسلمون، ولجأوا للغدر والمكيدة، لأجل ذلك وجَّه النَّبيُّ ρ جيشه لمحاربتهم، حيث حاصرهم في حصونهم، وانتصر عليهم، وباءت كل مكائدهم بالفشل، ونالوا جزاء ما كانوا يفعلونه مع المسلمين من الإخلاف بالعهد والتَّحالف مع المشركين، يقول حسَّان τ:

لَقَـدْ لَقِيَـتْ قُرَيْظَـةُ مَـا سَاءَهـا ... وحَـــلَّ بِحِصْـــنِها ذُلٌّ ذَلِيـــلُ
فَمَـا بَرِحُـوا بِـنَقْضِ العَهْـدِ حَتَّـى ... غَـــزَاهُمْ فـــي دِيَـــارِهِمُ الرَّسُـــولُ

(1) المُرْصِدُ: المُعِدُّ للأمر عُدَّته.
(2) المِرَاحُ: النَّشاط. والشَّاغبين: الذين ديدنهم الشَّغب وتهييج الشَّر.
(3) ديوان كعب بن مالك :279 – 280.

أَحَـاطَ بِحِصْـنِهِمْ مِنَّـا صُـفُوفٌ لَـهُ مِـنْ حَـرِّ وَقْعَتِهَـا صَلِيـلُ

وَصَـارَ المؤمنـون بِـدَارِ خُلْـدٍ أَقَـامَ لَهُـمْ بِهَـا ظِـلٌّ ظَلِيـلُ[1]

(4) غزوة مؤتة:

كانت غزوة مؤتة – في السَّنة الثَّامنة للهجرة – أوَّل معركة تقع بين جيش المسلمين وجيش الرُّوم الذين وصلتهم الأخبار عن قوَّة ذلك الجيش المسلم، وكان سبب هذه الغزوة أنَّ النَّبيَّ ρ أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير (بصرى) من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمَّر الغسَّاني، فلمَّا نزل مؤتة تعرَّض له شرحبيل بن عمرو الغسَّاني وقتله، فلمَّا بلغ الأمر رسول الله ρ اشتدَّ ذلك عليه، وجهَّز جيشاً لمقاتلة ملوك الرُّوم[2]. وقد أمر ρ مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف من المسلمين، وندب النَّاس وقال لهم: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على النَّاس، فإنْ أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على النَّاس، فإنْ قتل ابن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم[3]. والتقى الجيشان جيش المسلمين وجيش الرُّوم – الَّذي كان يقدَّر عدده بمائتي ألف مقاتل – في مكان يقال له مؤتة، فقاتل زيد بن حارثة τ براية رسول الله ρ حتَّى قُتِل في رماح القوم، ثمّ أخذ الرَّاية من بعده جعفر بن أبي طالب τ فقاتل بها حتَّى إذا ألحمه القتال، وأحاط به العدو من كل جانب، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها حتى لا تقع في يد العدوّ، ثم أقبل يقاتل وهو يردِّد أبياتاً تحمل معاني الشَّجاعة والبسالة والتَّضحية في ما عند الله من النَّعيم والرِّضوان، ودخول الجنان، فهو يقاتل ابتغاء ما عند الله، والجنة عنده أسمى مطلوب، وفي ذلك يقول τ :

(1) ديوان حسَّان بن ثابت :245.

(2) انظر: تأمُّلات في سيرة الرَّسول ρ، د. محمَّد السَّيِّد الوكيل :237.

(3) انظر: السِّيرة النَّبويَّة 373/2.

يا حَبَّذَا الجنَّةُ واقْتِرَابُها طَيِّبَةً وبَارداً شَرَابُها
والرُّومُ رُومٌ قد دَنَا عَذَابُها كَافِرَةٌ بعيدةٌ أَنْسَابُها
عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُها ضِرَابُها[1]

ثمَّ قاتل حتَّى قُتل τ .

ثمّ أخذ الرَّاية من بعده عبد الله بن رواحة τ فتقدَّم يقاتل الرُّوم، فداخل نفسه شيء من روع لا يخلو منه الموقف، فجعل يحفِّز نفسه ويشدُّ من عزيمتها، وهو يردِّد بعض الأبيات الشِّعريَّة التي يقول فيها:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّةْ[2] مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّةْ
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةْ هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ في شَنَّةْ[3]

ثمَّ تقدَّم يقاتل، فأُصيبت إصبعه، فارتجز قائلاً:

هَلْ أَنْتِ إِلا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ
يَا نَفْسُ إِلا تُقْتَلِي تَمُوتِي هذا حِيَاضُ المَوْتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنَّيْتِ فقد لَقِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ
وإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ[4]

فقاتل حتَّى قُتل τ.

---

(1) المصدر السابق 378/2.

(2) أَجْلَبَ القومُ: صاحوا واجتمعوا. والرَّنَّةُ: صوتٌ فيه ترجيع يشبه البكاء.

(3) ديوان عبد الله بن رواحة – ودراسة في سيرته وشعره – د. وليد قصَّاب :153.

(4) ديوان عبد الله بن رواحة :154.

ومن القصص التي تروي صور البطولة والإقدام في حياة الشَّاعر عبد الله ابن رواحة τ تلك التي رواها ابن هشام. إذ يروي أنَّ رسول الله ρ حين جهَّز جيش المسلمين لملاقاة الرُّوم، وكان ابن رواحة القائد الثالث للمعركة إن استشهد سابقاه، وهما زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب –رضي الله عنهما– فلمَّا وُدِّع عبد الله من رسول الله مع من وُدِّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صبابة بكم، ولكنِّي سمعت رسول الله ρ يقرأ آيةً من كتاب الله – عزَّ وجلَّ– يذكر فيها النَّار ﴿ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ﴾ [1]، فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون: صَحِبَكُم الله، ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين[2]، ثم أنشد ابن رواحة أبياتاً يعبِّر فيها عمَّا في نفسه وهو يسير في الجهاد راجياً مغفرة ربِّه ورضوانه، والفوز بالشَّهادة في سبيله، إذ قال:

لكنَّني أَسْأَلُ الرَّحمـنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[3]
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ والكَبِدَا[4]
حَتَّى يُقَالُ إذا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[5]

وكان المسلمون لَمَّا نزلوا (مَعَان) من أرض الشَّام هالهم ما رأوا من كثرة عدد الرُّوم وما يملكونه من عتاد، وبدأوا يفكِّرون في ذلك، وهل يرسلون إلى الرَّسول ρ يخبرونه بذلك أم لا ؟ فقام عبد الله بن رواحة τ يشجِّعهم ويستحثُّهم على القتال، مبيِّناً لهم أنَّ النَّصر لا يتحقَّق عن كثرة العدد أو العُدَّة وإنَّما يتحقَّق بالصَّبر

(1) سورة مريم، الآية 71.
(2) انظر: السِّيرة النَّبويَّة :373/2 – 374.
(3) ذات فرغ: الفرغُ مخرجُ الماء من الدَّلو. والزَّبدُ: الرَّغوة.
(4) الحرَّان: العطشان. مُجهزة: مسرعة متمِّمة، يقال: أجهز على الجريح إذا أماته.
(5) ديوان عبد الله بن رواحة :147.

والمصابرة والطَّاعة والإخلاص في إعلاء راية الإسلام، وهزيمة المشركين، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء وهو يرجو الظَّفر بإحدى الحسنيين، إمَّا النَّصر وإمَّا الشَّهادة في سبيل الله[1]. فتشجَّع النَّاس وقالوا: قد –والله – صدق ابن رواحة، وأنشد في ذلك الموقف يقول:

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وفَرْعٍ[2] تُغَرُّ من الحَشِيشِ لها العُكُومُ[3]
حَذَوْنَاها مِنَ الصَّوَّانِ سَبْتاً أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ[4]
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مَعَانٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِها جُمُومُ[5]
فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ[6] تَنَفَّسُ في مَنَاخِرِها السُّمُومُ
فلا وأبي مآبَ[7] لِنَأْتِيَنْها وإنْ كَانَتْ بها عَرَبٌ ورُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَها فَجَاءَتْ عَوَابِسَ، والغُبارُ لها بَرِيمُ[8]
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيْضَ فيهِ إذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُها النُّجُومُ[9]

(1) انظر: السِّيرة النَّبويَّة 375/2.
(2) أجأ: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى. والفرع: اسم موضع.
(3) تغرُّ: تطعم شيئاً بعد شيء. والعُكومُ: جمع عِكْم، وهو الجنب.
(4) الصَّوَّان: حجارةٌ مُلس، واحدتها صوانة. أزل: أملس. الأديم: الجلد.
(5) الجموم: النَّشاط والرَّاحة.
(6) مسوَّمات: معلَّمات.
(7) مآب: اسم مدينة في طرف الشَّام من نواحي البلقاء.
(8) البريم في الأصل: خيطان مختلفان أحمر وأبيض، وكلّ ما فيه لونان مختلطان فهو بريم.
(9) اللجبُ: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبَيْضُ: ما يوضع على الرَّأس من الحديد. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة.

فَرَاضِيَةُ[1] المَعِيشَةِ طلَّقَتْهَا أَسِنَّتُها، فَتَنْكِحُ أَوْ تَئِيمُ[2]

وفي ليلة السَّفر إلى مؤتة، وبينما كان الطَّريق طويلاً وشاقّاً، كان عبد الله ابن رواحة τ يستغرق في الأمل بالشَّهادة والفوز برضوان الله – عزَّ وجلَّ – إذ ذهب يناجي ناقته، ويبشِّرها بتحريرها من الأسفار، فلا عودة إلى بلاد النَّخيل، لأنَّه عزم في قرارة نفسه على شدِّ الرِّحال إلى جوار ربِّه– جلَّ وعلا – حيث يقول:

إِذَا أَدَّيْتَنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ[3]
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ، وَخَلاكِ ذَمٌّ وَلا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وجَاءَ المُسلمون وغادَرُوني بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وَرَبَّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحمنِ مُنْقَطِعَ الإِخَاءِ
هُنَالِكَ لا أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ[4] ولا نَخْلٍ أَسَافِلُها رِوَاءِ[5]

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تعلُّق الشَّاعر بالشَّهادة، والسَّير لأجلها على راحلته، التي بلغته رحلته المأمولة، ولقي ما كان يرجوه من الاستشهاد في سبيل الله، والفوز برضوانه – عزَّ وجلَّ – وهي صورة مؤثِّرة تعكس روح التَّضحية والفداء التي قدَّمها أولئك المجاهدون في تلك الغزوات.

---

(1) راضيةٌ: أي مرضيَّة.

(2) ديوان عبد الله بن رواحة :149 – 150.

(3) أَدَّيتني: أوصلتني. والحِساءُ: جمع حِسيٍّ، وهو ماء يغور في الرَّمل.

(4) البَعْلُ: النَّخْلُ الذي يشرب بعروقه من الأرض فيستغني عن السَّقي، ويقال: استبعل النَّخل: أي: شرب بعروقه.

(5) ديوان عبد الله بن رواحة :151.

(5) فتح مكَّة :

كانت الإرهاصات لهذا الفتح المجيد منذ وقت مبكِّر، ففي نهاية العام السادس للهجرة عزم النبيّ ρ أن يدخل مكَّة معتمراً، فاستنفر المؤمنين بالمدينة ليخرجوا معه، فلمَّا شعر أهل مكَّة بقدومه أرسلت إليه قريش تستطلع الأمر أقتال أم عمرة، فلمَّا علموا بحقيقة الموقف أخذتهم العزَّة بالإثم، وطلبوا عقد هدنة مع النبي ρ والمسلمين تقضي بأن يكف عنهم القتال لعشرة أعوام وأن يرجع إلى المدينة عامهم هذا، فإذا انصرم جاء ومن معه من المسلمين معتمرين في العام القابل، وبعد عودته ρ إلى المدينة جرت أحداث كثيرة نقض المشركون خلالها الهدنة وأغاروا على (خزاعة) الداخلة في عهد رسول الله ρ، فجهَّز –عليه السلام– الجيش المؤمن وقاده إلى مكَّة، وحمل علي بن أبي طالب τ اللواء، وفتحت مكَّة ودخلها رسول الله ρ ومن معه وكان ذلك نصراً عظيماً للمسلمين[1].

وقد واكب الشِّعر ذلك الفتح، وأشاد الشُّعراء بما تحقَّق للمسلمين في هذا الفتح من عزٍّ ومنعة ونصر للإسلام، حيث أظهرت القصائد الشِّعريَّة قدرة جيش المسلمين على الفتح، وتمكين الله تعالى لهم. ومن ذلك ما يظهر في قول بُجير بن زهير[2] حين يصف هذا الفتح، ويشير إلى الطريقة التي التقى فيها الجمعان، جيش المسلمين بعزيمته وصبره وتوكله على الله تعالى، وجيش الكفر بتخاذله وانكساره، فكانت الصَّيحات والطِّعان وقفزات خيل المؤمنين معبرةً عن الفرح بنصر الله، فقد أنهال المؤمنون على خصومهم ضرباً بالسُّيوف، وطعناً بالرِّماح، حتَّى تحقَّق لهم ما كانوا يأملون فيه من الهجرة، وباء الكفَّار بالهزيمة والخسران، وفي ذلك يقول بُجير:

---

(1) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :221–222.

(2) هو: بجير بن زهير بن أبي سلمى المُزني، أسلم قبل السَّنة السَّابعة للهجرة، ودعا أخاه كعباً للإسلام، وشهد مع المسلمين بعض الغزوات ومنها فتح مكَّة. (انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة 141/2).

ضَـرَبْنَاهُمْ بِمَكَّـةَ يَـوْمَ فَـتْحِ النَّـ ـبيِّ الخَيْـرِ بِـالبِيضِ الخِفَـافِ
صَـبَحْنَاهُمْ بِسَـبْعٍ[1] مِـنْ سُـلَيْمٍ وأَلْـفٍ مِـن بَنِـي عُثْمَـانَ وَافِ
نَطَـا أَكْتَـافَهُمْ ضَرْبـاً وطَعْنـاً وَرَشْقـاً بالمريَّشَـةِ اللِّطَـافِ[2]
تَـرَى بَـيْنَ الصُّـفُوفِ لَهَـا حَفِيفـاً كَمَـا انصَـاعَ الفُـوَاقُ مِـنَ الرَّصَـافِ[3]
فَرُحْنَـا والجِيَـادُ تَجُـولُ فِـيهِمْ بأَزْمَـاحٍ مُقَوَّمَـةِ الثِّقَـافِ
فَأُبْنَـا غَـانِمِينَ بِمَـا اشْتَهَيْنَـا وآبُـوا نَادِمِـينَ عَلَـى الخِـلَافِ
وأَعْطَيْنَـا رَسُـولَ اللهِ مِنَّـا مَوَاثِقَنَـا عَلَـى حُسْـنِ التَّصَـافِي
وقَـد سَـمِعُوا مَقَـالَتَنَا فَهَمُّـوا غَـدَاةَ الـرَّوْعِ مِنَّـا بِانْصِـرَافِ

ويتوقَّف العبَّاسُ بن مرداس السُّلمي[4] τ عند فتح مكَّة بعد أن اشترك مع قومه من بني سُلَيْم في ذلك الفتح، حيث يبيِّن في إحدى قصائده القوَّة العدديَّة لقومه الذين شاركوا تحت إمرة النَّبيِّ الكريم ρ موضِّحاً ما كانوا عليه من الإقدام، والبسالة، والتَّضحية من أجل تحقيق النَّصر، حيث يقول:

مِنَّـا بِمَكَّـةَ يـومَ فَـتْحِ محمَّـدٍ أَلْـفٌ تَسِـيلُ بِـهِ البِطَـاحُ[5] مُسَـوَّمُ

(1) بسبع: أي بسبع مائة. وبنو عثمان: هم مُزينة.
(2) نَطَا: أراد نَطَأْ، فخفَّف الهمزة. والرَّشْقُ: الرَّمي السَّريع. والمريشةُ: يعني السِّهام ذوات الريش.
(3) الحفيفُ: الصَّوت. وانصاع: انشقَّ. والفواقُ هنا: الفوق، وهو طرف السَّهم الذي يلي الوتر. والرَّصافُ: جمع رصفة، وهي عصبةٌ تلوى فوق السَّهم.
(4) هو: العبَّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة السُّلمي، يكنَّى أبا الهيثم، وهو من شعراء البادية، أسلم قبيل فتح مكَّة، وشارك مع قومه في الجهاد ونصرة الإسلام، توفي سنة 18هـ. (انظر: الإصابة لابن حجر 342/1).
(5) البِطاحُ: جمع بطحاء، وهي الأرض السَّهلة المتسعة.

نَصَـرُوا الرَّسُـولَ، وشَـاهَدُوا أَيَّامَـهُ وشِعَـارُهُمْ[1] يـومَ اللِّقـاءِ مُقَـدَّمُ
فـي مَنْـزِلٍ ثَبَتَـتْ بِـهِ أَقْدَامُهُـمْ ضَـنْكٍ كَـأَنَّ الهَـامَ فيـهِ الحَنْتَـمُ[2]
جَـرَّتْ سَـنَابِكَها بِنَجْـدٍ قَبْلَهـا حتَّـى اسْـتَقَادَ لهـا الحِجَـازُ الأَدْهَـمُ
اللَّـهُ مَكَّنَـهُ لَـهُ وأَذَلَّـهُ حُكْـمُ السُّـيُوفِ لَنَـا وجَـدٌّ مِـزْحَمُ[3]
عَـوْدُ الـرِّيَاسَةِ شَـامِخٌ[4] عِرْنِينُـهُ مُتَطَلِّـعٌ ثغـرَ المَكَـارِمِ خِضْـرِمُ[5]

وينطلق حسَّان بن ثابت τ في همزيَّته من جانب الدِّفاع عن الدَّعوة الإسلاميَّة وصاحبها ρ الذي ما فتئ المشركون يكيلون له السِّباب، والتُّهم، ويرمونه بأبشع الصِّفات في وقت هو يسعى إلى هدايتهم ودخولهم الدِّين الحق لينعموا بسماحته وعدله، ولكن أئمَّة الكفر ورؤوس الفتنة ظلُّوا يكيدون له، ولذا هجاهم حسَّان ر بما قدَّمت أيديهم في تعذيب المؤمنين[6]، والتَّطاول على سيد المرسلين ρ، حيث يقول:

أَلاَ أَبْلِـغْ أَبَـا سُـفْيَانَ [7] عَنِّـي فأنـتَ مُجَـوَّفٌ نَخِـبٌ هَـوَاءُ
هَجَـوْتَ محمَّـداً فأَجَبْـتُ عنـهُ وعنـدَ اللهِ فـي ذاكَ الجـزاءُ
أَتَهْجُـوهُ وَلَسْـتَ لَـهُ بكُـفْءٍ فَشَـرُّكُما لِخَيْرِكُمَـا الفِـداءُ
هَجَـوْتَ مُبَارَكـاً بـرّاً حَنِيـفاً أَمِـينُ اللهِ، شِيمَتُـهُ الوفـاءُ
فَمَـنْ يَهْجُـو رَسُـولَ اللَّـهِ مِـنْكُمْ ويَمْدَحُـهُ ويَنْصُـرُهُ سَـواءُ

(1) شعارهم: علامتهم في الحرب.
(2) ضنك: ضيِّق. والهام: الرؤوس. والحنتم: الحنظل.
(3) مزحم: كثير المزاحمة، يريد أنَّ جدَّهم غالب.
(4) العَوْدُ (هنا): الرَّجلُ المُسِنُّ. وشامخٌ: مرتفع ، والخضرمُ: الجواد الكثير العطاء.
(5) السِّيرة النَّبويَّة 426/2 – 427.
(6) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :228.
(7) هو أبو سفيان الحارث بن عبد المطلب.

فَـــإنَّ أبـــي وَوَالِـــدَهُ وَعِرْضـــي لِعِـــرْضِ محمَّـــدٍ مِـــنْكُمْ وِقَـــاءُ

لِسَـــانِي صَـــارِمٌ لاَ عَيْـــبَ فيـــهِ وَبَحْـــرِي مَـــا تُكَـــدِّرُهُ الـــدِّلاَءُ[1]

وكما يظهر في البيت الأخير فإنَّ حسَّان τ يفخر بفصاحته وبلاغته وجودة شعره، فإذا كان الأعداء يظنُّون أنهم ينالون من المسلمين بشعرهم فإنَّ هذا السلاح هو أمضى وأقوى لدى المسلمين؛ لأنهم يدعون إلى الحق، ويذودون عن عقيدتهم بسنانهم ولسانهم.

ويصف العبَّاس بن مرداس τ طريقة الجيش الفاتح في السير إلى الجهاد، وكيف أنهم يسيرون تحت إمرة النبي الكريم ρ ويطيعونه فيما أمر، ويجتنبون ما نهى عنه، الأمر الذي حقَّق لهم الفلاح، وأخضع الأقوام للدخول في دين الله، وفي ذلك يقول:

فَمَـــنْ مُبْلِـــغُ الأَقْـــوَامَ أنَّ محمَّـــداً رَسُـــولُ الإلـــهِ راشِـــدٌ حَيْـــثُ يمَّمَـــا

دَعَـــا ربَّـــه واستنصـــرَ اللهَ وَحْـــدَه فَأَصْـــبَحَ قَـــدْ وَفَّـــى إليـــه وأَنْعَمَـــا

سَـــرَيْنَا ووَاعَـــدْنَا قَـــدِيداً محمَّـــداً يَـــؤُمُّ بنـــا أمـــراً مـــن اللهِ مُحْكَمَـــا

تَمَـارُوا بِنَـا فـي الفَجْـرِ حَتَّـى تبيَّنُـوا مـــع الفجـــر فتيانـــاً وغابـــاً مُقَوَّمَـــا

فـــإنَّ سَـــرَاةَ الحـــيِّ إن كنـــتَ ســـائلاً سُـــلَيْمٌ وفـــيهم مـــنهمُ مَـــن تَسَـــلَّمَا

وجُنْـــدٌ مِـــنَ الأَنْصَـــارِ لا يَخْذُلُونَـــه أَطَـــاعُوا فَمَـــا يَعْصُـــونَه مـــا تَكَلَّمَـــا[2]

وبعد الفتح الإسلامي وما أدخله من فرح في النُّفوس توجَّه المسلمون بقيادة الرَّسول ρ إلى الطَّائف لدعوة أهلها إلى الدُّخول في الإسلام، وبيان موقفهم منه، وكان مع الرَّكب المتَّجه إلى الطَّائف كعب بن مالك τ الَّذي نظم قصيدته في

(1) ديوان حسَّان بن ثابت :75–76.

(2) السِّيرة النَّبويَّة 4/110–111.

وصف المعارك التي خاضها جيش المؤمنين، وقد تكلَّلت بالنَّصر المؤزِّر، وما تبع ذلك من دخول الناس في دين الله أفواجاً حتى وصل ذلك الجيش إلى الطائف[1]، ليكمل رسالته في نشر الدَّعوة الإسلاميَّة، حيث يقول كعب في مطلع قصيدته:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وخَيْبَرَ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا[2] السُّيُوفَا
نُخَيِّرُهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ[3] إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا
ونَنْتَزِعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ (وَجٍّ)[4] وتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنَّا خُلُوفَا
ويَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفاً
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بها الحُتُوفَا
كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفَا[5]
تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فيها غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيّاً[6] مَدُوفَا[7]

وبعد هذه المقدِّمة التي أبان فيها كعب τ عمَّا صنعه المسلمون مع أعداء الدَّعوة الذين لم يستجيبوا لنداء الحقِّ، انطلق بعد ذلك إلى إنذار المشركين بما ينتظرهم من سوء العاقبة إن لم يتَّبعوا الطَّريق الحقِّ، وإشهادهم بأنَّهم قادمون، فمن

(1) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :239.
(2) أَجْمَمْنَا: أَرَحْنَا.
(3) الحَاضِنُ: المرأةُ التي تحضن ولدها.
(4) وَجٌّ: من أسماء الطَّائف. (انظر: معجم البلدان 361/5).
(5) العقائقُ: جمع عقيقةٍ، وهي شعاعُ البرق. وكتيف: جمع كتيفة، وهي الصَّفائح الحديد التي تستعمل في صنع الأبواب.
(6) الجديَّةُ: الطَّريقةُ من الدَّم. والجاديُّ: الزَّعفران. ومدوفٌ: مخلوط بغيره.
(7) ديوان كعب بن مالك :234 – 235.

آثر السَّلام فليسلم بما جاء به المصطفى ρ ليعيش عيشة راضيةً، ومن لم يسلم، أو تحدِّثه نفسه بالموادعة، فليتحمَّل وزره ووزر من اتَّبعه، أو استجاب لنصحه[1]، حيث ينطلق كعب في هذا المعنى فيقول:

أَجِدَّهُمُ أَلِيسَ لَهُمْ نَصِيحٌ ... مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا[2]
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاقَ الخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا[3]
وأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ ... يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وكَانَ صلباً ... نَقِيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا
رَشِيدَ الأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِلْمٍ لم يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفَا
نُطِيعُ نَبِيَّنَا ونُطِيعُ رَبّاً ... هُوَ الرَّحمنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوْا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... ونَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَا[4]
وإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ ونَصْبِرْ ... ولا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيفَا
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا ... إِلَى الإِسلامِ إِذْعَاناً مُضِيفَا[5]
نُجَاهِدُ لا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلادَ أَم الطَّرِيفَا

(1) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :240.
(2) أَجِدَّهُمُ: بكسر الجيم وفتحها بمعنى: أَبِجِدٍّ منك هذا، ونُصبت على طرح الباء. وعَرِيفاً: عارفاً.
(3) عِتَاقُ: جمع عتيق. والنُّجُبُ: جمع نجيب. والطُّرُوف: جمع طِرْفٍ (بكسر الطَّاء)، وكلُّها صفات للخيل بمعنى: الكريمة الأصل.
(4) الرِّيفُ: الموضع المخصب على الماء. يريد نتَّخذكم أعواناً على الحرب، ونستمدُّ من ريفكم العيش.
(5) نُجَالِدُ: نحارب بالسُّيوف. ومضيفاً: ملجئاً.

لأَمْـــرِ اللَّـــهِ والإِسْـــلامِ حَتَّـــى يَقُـــومَ الـــدِّينُ مُعْتَـــدِلاً حَنِيفَـــا[1]

فقد أبان كعب τ في هذه الأبيات عن السَّبب في المضيِّ إلى الجهاد وتحقيق الانتصارات وهو الدَّعوة إلى الإسلام والدُّخول فيه، وإخراج النَّاس من دياجير الشِّرك والضَّلال إلى أنوار الهداية والإيمان، لذا كانت هذه الدَّعوة هي السِّمة البارزة في شعر الغزوات، حيث أبان الشُّعراء في كثير من قصائدهم عن حرصهم على دخول النَّاس في هذه الدَّعوة المباركة، والاستنارة بنور الإسلام، كي يتفيَّؤا ظلاله، وينعموا بسماحته وعدله.

****

(1) ديوان كعب بن مالك :235 – 237.

الفصل الثَّاني : القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات

أوَّلاً: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشِّعر

من الجوانب البارزة في شعر الغزوات ما اتَّسم به ذلك الشِّعر من الميل إلى الألفاظ والمعاني القرآنيَّة، وذلك من خلال الاقتباس من الذِّكر الحكيم، فقد تأثَّر الشُّعراء من الصَّحابة – رضوان الله تعالى عليهم – بالقرآن الكريم وببديع أسلوبه وجمال معانيه، فكان أسلوبه المعجز محلَّ اهتمامهم وإجلالهم، ولذا فقد عمدوا إلى الاستنارة بنوره، والإفادة من معانيه السَّامية في أشعارهم، وهو ما ظهر جليّاً في اقتباسات حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم من الصَّحابة – رضوان الله تعالى عليهم – وهو ما سيتَّضح من خلال الوقوف على تلك الأشعار.

الاقتباس من القرآن الكريم:

توقَّف شعراء الغزوات عند بعض الآيات القرآنيَّة، وتمثَّلوا معانيها، وأدخلوها في أشعارهم التي تتحدَّث عن نصرة الإسلام، والدِّفاع عن العقيدة الإسلاميَّة، والتَّصدِّي للمشركين الذين ما فتئوا ينالون من المسلمين، ويتعرَّضون لهم بالهجاء. وكان من أولئك المتأثِّرين بالقرآن الكريم حسان بن ثابت الأنصاري τ فقد عبَّر شعر الغزوات عنده عن معانٍ إيمانيَّة عميقة، تستلهم رؤيتها الحقَّة من القرآن الكريم، ومن ذلك ما يظهر في قوله:

وقُلْتُمُ لَنْ نُرَى، واللهُ يُبْصِرُكُمْ وفِيكُمُ مُحْكَمُ الآياتِ والقِيلِ
محمَّدٌ والعَزِيزُ اللهُ يُخْبِرُهُ بِمَا تُكِنُّ سَرِيرَاتُ الأَقَاوِيلِ[1]

فالبيت الأول مقتبس من قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ

(1) ديوان حسَّان بن ثابت :302.

ﭫ﴾[1]. والبيت الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □﴾[2].

وفي رائية كعب بن مالك τ التي ردَّ بها على قصيدة ضرار بن الخطَّاب يقول في مطلعها:

عَجِبْـــتُ لأَمْـــرِ اللهِ واللهُ قَـــادِرٌ عَلَـــى مـــا أَرَادَ لَـــيْسَ للهِ قَـــاهِرُ[3]

فالبيت فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﴾[4].

ويقول كعبτ في بعض معانيه التي تستلهم المعاني القرآنية:

فَـــإِنْ يَـــكُ مُوسَـــى كَلَّـــمَ اللهَ جهـــرةً علـــى جَبَـــلِ الطُّـــورِ المنيـــفِ المعظَّـــمِ

فقـــد كَلَّـــمَ اللهُ النـــبيَّ محمَّـــداً علـــى المَوْضِـــعِ الأَعْلَـــى الرَّفِيـــعِ المســـوَّمِ

وإِنْ تَـــكُ نَمْـــلُ البَـــرِّ بـــالوهم كلَّمَـــتْ سُـــلَيْمَانَ ذا الملـــك الـــذي لـــيس بـــالعمي[5]

فهـــذا نبـــيُّ اللِـــه أحمـــد ســـبَّحَتْ صِغَـــارُ الحَصَـــى فـــي كفِّـــهِ بـــالتَّرَنُّمِ[6]

فالبيت الأول مقتبس من قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ﴾[7].

أمَّا البيت الثَّاني فيشير إلى قوله تعالى: ﴿ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ﴾[8].

وحين يصف كعب τ عدَّة الجيش المسلم فإنَّه يجعل في مقدِّمتها التَّقوى، فهي خير ما يتمسَّك به المؤمن ليحظى بالنَّصر والتَّأييد من خالقه –عزَّ وجلَّ– وفي ذلك

(1) سورة الأنعام، الآية 103.
(2) سورة القصص، الآية 69.
(3) ديوان كعب بن مالك :138.
(4) سورة الرعد، الآية 11.
(5) ديوان كعب بن مالك :139.
(6) المصدر السابق :270.
(7) سورة النِّساء، الآية 164.
(8) سورة النَمل، الآية 18.

يقول:

تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تكونُ لِبَاسَنَا يَوْمَ الهِيَاجِ وكل ساعةِ مَصْدَقِ[1]

ففي هذا البيت إشارة إلى قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾[2]

وفي غزوة مؤتة تظهر شجاعة جعفر بن أبي طالب τ وبسالته فهو يطلب الجنَّة وما فيها من نعيم ورضوان، فيقول:

يا حَبَّذَا الجنَّةُ واقْتِرَابُها طَيِّبةً وبَارداً شَرَابُا[3]

ويصف كعب بن مالك τ دعوة النبي ρ لقريش للدُّخول في الإسلام وترك المعتقدات الباطلة التي يعتقدونها فكان جوابهم الإساءة لشخص النبي ρ، حيث يقول كعب:

وكَانَ رَسُولُ الله قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا فَوَلَّوْا وقَالُوا إنَّما أَنْتَ سَاحِرُ[4]

ففي هذا المعنى إشارة إلى قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾[5].

وفي غزوة مؤتة وقف عبد الله بن رواحة ρ ذلك الموقف البطولي، وذلك حين خاطب نفسه راجياً منها أن تطلب الشَّهادة في سبيل الله، وترجو ما عند الله – عزَّ وجلَّ – حيث يقول:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ طَائِعَةً أَوْ لا لَتُكْرَهِنَّهْ

---

(1) ديوان كعب بن مالك ص140.

(2) سورة الأعراف، الآية 26.

(3) السِّيرة النَّبويَّة 378/2.

(4) ديوان كعب بن مالك :139.

(5) سورة ص، الآية 4.

قَــدْ طَالَمَــا قَــدْ كُنْــتِ مُطْمَئِنَّــةْ جَعْفَــرُ مَــا أَطْيَــبَ رِيــحَ الجَنَّــةْ![1]

حيث يشير في الشَّطر الثَّاني من البيت الثَّاني إلى المعنى الوارد في قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ﴾[2].

وفي شعر حسَّان بن ثابت τ تظهر رباطة المجاهد المسلم المتوكِّل على الله، الذي لا يخشى كثرة عدد الأعداء ولا عُدَّتهم، إذ يقول:

فَمَــا نَخْشَــى بِحَــوْلِ اللهِ قَوْمــاً وإِن كَثُــرُوا وأُجْمَعَــتِ الزُّحــوفُ

إذا مــا أَلَّبُــوا جَمْعــاً عَلَيْنَــا كفانــا حدَّهــم رَبٌّ رؤوفُ

لَقِينَاهُــمْ بهــا لَمَّــا سَمَوْنــا ونحــن عِصَــابَةٌ وهُــمُ أُلُــوفُ[3]

ففي هذه الأبيات يظهر أثر المعاني القرآنية، حيث يشير البيت الأول إلى قوله تعالى: ﴿ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې﴾[4].

وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ﴾[5].

ويشير عبد الله بن رواحة τ إلى جهاد المسلمين، فيقول:

نُجَالِـدُ النَّـاسَ عَـنْ عِـرْضٍ فَنَأْسِـرُهُمْ فِينَــا النَّبِــيُّ، وفِينَــا تَنْــزِلُ السُّــوَرُ[6]

فلفظة (سورة) في الشَّطر الثَّاني مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ ۈ ۇٴ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې﴾[7].

---

(1) ديوان عبد الله بن رواحة :153.

(2) سورة الواقعة، الآية 88– 89.

(3) ديوان حسَّان :352.

(4) سورة الأنفال، الآية 44.

(5) سورة الأنفال، الآية 9–10.

(6) ديوان عبد الله بن رواحة :83.

(7) سورة البقرة، الآية 22.

ويصف كعب بن مالك τ خيول المسلمين التي أُعدَّت لحرب المشركين في موقعة الخندق، وما اتَّصفت به من الصِّفات، فيقول:

ونُعِـــدُّ لِلأَعْـــدَاءِ كُـــلَّ مُقَلَّـــصٍ وَرْدٍ، ومَحْجُـــولَ القَـــوَائِمِ أَبْلَـــقِ[1]

أَمَـــرَ الإِلَـــهُ بِرَبْطِهَـــا لِعَـــدُوِّهِ فِـــي الحَـــرْبِ إِنَّ اللهَ خَيْـــرُ مُـــوَفِّقِ[2]

فهذا المعنى فيه إشارة إلى قول الحقِّ – تبارك وتعالى –: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى﴾[3].

وعلى هذا النَّحو فقد ظهر أثر القرآن الكريم في أساليب الشُّعراء، الذين تحدَّثوا عن الغزوات، ونافحوا عن عقيدتهم، وتصدَّوا للمشركين في كثير من المواقع، وقد أعطى ذلك التَّأثُّر شعرهم قوَّةً في التَّعبير، وأسلوباً سهلاً أزاح عن طريقهم خشونة الألفاظ الجاهليَّة التي كانت سمةً بارزةً قبل ظهور الإسلام.

* * *

ثانياً: اللُّغة الشِّعريَّة:

اللُّغة عنصر رئيس من عناصر الإبداع الشِّعري، وهي الوسيلة التي تفصح عن مدلول الشَّاعر ومراده، وذلك من خلال ما يبثُّه في شعره من مشاعر وشجون.

والشِّعر الجيِّد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، فترقُّ تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلَّب الرِّقَّة، وتجزل وتشتدُّ في المواضع التي تتطلَّب الشِّدَّة والفخامة، وهو ما دعا إليه القاضي الجرجاني في قوله: ((أرى لك أن تقسِّم الألفاظ على رتب المعاني))[4].

والمتأمِّل في ألفاظ شعر الغزوات يجد أنَّها اتَّسمت في جانب كبير منها

(1) ديوان كعب بن مالك :140.

(2) المصدر السابق :244.

(3) سورة الأنفال، الآية 60.

(4) الوساطة بين المتنبِّي وخصومه :24.

بالجزالة، وقد حدَّد النُّقَّاد ملامح اللفظ الجزل في الكلام بأنَّه هو الذي ((يكون متيناً على عذوبته في الفم، ولذاذته في السَّمع))[1]، فلا تشوبه وحشيَّة أو وعورة، كما بيَّنوا المواضع التي يستعمل فيها اللفظ الجزل، ومنها ما ((يكون في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التَّهديد والتَّخويف، وأشباه ذلك))[2].

ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك τ في موقعة الخندق، التي يقول فيها:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ ... بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ
فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سُيوفُها ... بينَ المِذَادِ وبينَ جِزْعِ الخَنْدَقِ
نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا ... قُدُماً، ونُلْحِقُها إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
فَتَرَى الجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُها ... بَلْهَ الأَكُفَّ كَأَنَّها لم تُخْلَقِ
نَلْقَى العَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ ... تنفي الجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ المَشْرِقِ
ونُعِدُّ للأَعْدَاءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ ... وَرْدٍ ومَحْجُولِ القَوَائِمِ أَبْلَقِ
تَرْدَى بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ ... عِنْدَ الهِيَاجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثَقِ[3]

حيث يصف كعبτ حماسة جيش المسلمين، واستعدادهم للقاء المتحزِّبين من المشركين في يوم الخندق، وقدرتهم على إلحاق الهزيمة بهم إذا قدموا لحرب المسلمين، مبيِّناً ما امتاز به ذلك الجيش من التَّعوُّد على خوض المعارك ومنازلة الأعداء، وإعمال السُّيوف فيهم، حيث يظهر دور الفرسان المسلمين على خيولهم المضمَّرة المعدَّة للقتال فكأنَّهم أسود يحمون عرينهم، ويدافعون عنه بكلِّ بسالة، وقد اعتمد الشَّاعر في وصف تلك المشاهد الحماسيَّة على الألفاظ الجزلة، ومن تلك الكلمات (ضرب، يمعمع، المحرق، مأسدةً، سيوفها،

(1) المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر 185/1.
(2) المصدر السَّابق 185/1.
(3) ديوان كعب بن مالك :245 – 246.

الجماجم، هاماتها، العدو، بفخمة، ملمومة، مقلَّص، ورد، محجول، أبلق، بفرسان، كماتهم، الهياج، أسود، ملثق) فهي ألفاظ تتَّسم بالقوَّة، وشدَّة الجرس، وتوحي بجوِّ المعركة، وما يكتنفه من اصطدام الجيوش، وصليل السُّيوف، وشدَّة إعمالها في الأعداء.

ويستخدم العبَّاس بن مرداس τ الألفاظ الجزلة في وصف فتح مكَّة، وما تحقَّق فيه للمسلمين من عزٍّ ومنعة، يقول:

مِنَّـــا بِمَكَّـــةَ يـــومَ فَـــتْحِ محمَّـــدٍ أَلْـــفٌ تَسِـــيلُ بِـــهِ البِطَـــاحُ مُسَـــوَّمُ

فـــي مَنْـــزِلٍ ثَبَتَـــتْ بِـــهِ أَقْدَامُهُـــمْ ضَـــنْكٍ كَـــأَنَّ الهَـــامَ فيـــهِ الحَنْتَـــمُ

جَـــرَّتْ سَـــنَابِكَها بنجـــدٍ قَبْلَهـــا حتَّـــى اسْـتَقَادَ لهـا الحِجَـازُ الأَدْهَـمُ[1]

فالشَّاعر هنا يصوِّر ما دار يوم فتح مكَّة من حشد الجيوش المتأهِّبة للفتح، ومنهم قومه من بني سُليم الذين شاركوا بفرسانهم في ذلك الفتح، وأظهروا ثباتهم ورباطة جأشهم في تلك المناسبة العظيمة، وقد ألبس الشَّاعر تلك المعاني ألفاظاً تناسبها في القوَّة والشِّدَّة، وتوحي بصور البسالة والإقدام، حيث اعتمد في ذلك على ألفاظ اتَّسمت بالمتانة والجزالة، ومن تلك الألفاظ ((تسيل، البطاح، مسوَّم، ضنك، الهام، الحنتم، جرَّت، سنابكها، استقاد، الأدهم) فهذه الألفاظ ترسم صورةً تموج بالحركة والقوَّة، لتجسِّد ما شهده ذلك الفتح من قوَّة وشجاعة من قبل جيش المسلمين.

ومن الجوانب البارزة في شعر الجهاد شيوع الألفاظ الإسلاميَّة التي جاءت مع الدِّين الجديد، حيث تأثَّر بها الشُّعراء، وأدخلوها في معجمهم الشِّعري، فجاءت قصائدهم الشِّعريَّة تحفل بتلك الألفاظ، التي هي مظهر من مظاهر الشِّعر في عصر صدر

(1) السِّيرة النَّبويَّة 426/2.

الإسلام[1]. ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قول حسَّان بن ثابت τ في موقعة الخندق:

وكَفَــى الإلَــهُ المــؤمنين قِتَــالَهُمْ وأَثَــابَهُمْ فــي الأَجْــرِ خَيْــرَ ثَــوَابِ
مِــنْ بَعْـدِ مَـا قَنَطُـوا فَفَـرَّجَ عَـنْهُمُ تَنْزِيــلُ نَــصِّ مَلِيكِنَــا الوَهَّــابِ
وأَقَــرَّ عَــيْنَ مُحَمَّــدٍ وصِحَابِــهِ وأَذَلَّ كُــلَّ مُكَــذِّبٍ مُرْتَــابِ
مُسْتَشْــعِرٍ لِلْكُفْــرِ دُونَ ثِيَابِــهِ والكُفْــرُ لــيسَ بِطَــاهِرِ الأَثْــوَابِ[2]

فالشَّاعر يشير إلى ما آلت إليه موقعة الخندق من تفرُّق جموع المشركين، وتشتُّت حشودهم، ورجوعهم خائبين، وقد كفى الله المؤمنين القتال، وأثابهم الأجر على ما بذلوا في مواجهة الكفَّار، حيث كانت العزَّة للمسلمين، والذِّلَّة والخزي للكافرين.. وقد جاء النَّصُّ يزخر بالألفاظ الإسلاميَّة، ومن ذلك (الإله، المؤمنين، أثابهم، الأجر، ثواب، تنزيل، نص، مليكنا، الوهَّاب، صحابه، مكذِّب، مرتاب، الكفر، طاهر) فهذه الألفاظ أبانت عن المعنى العام الذي قصد إليه الشَّاعر، وأكسبته دلالةً جديدةً، تدلُّ على تأثُّر حسَّان τ بالمعاني الإسلاميَّة، والقيم الدِّينيَّة الَّتي أتى بها الدِّين الحنيف.

ويشير كعب بن مالك τ إلى أنَّ الدَّعوة إلى الإسلام، والحرص على دخول النَّاس فيه هو السَّبب في مسيرة الجهاد، وانطلاق المسلمين لإعلاء راية الحقِّ، حتَّى ينتشر الإسلام في شتَّى الأصقاع، يقول:

نُجَــالِدُ مَــا بَقِينَــا أَوْ تُنِيبُــوا إِلَــى الإســلامِ إِذْعَــاناً مُضِــيفَا
نُجَــاهِدُ لا نُبَــالِي مَــنْ لَقِينَــا أَأَهْلَكْنَــا التِّــلادَ أَم الطَّرِيفَــا

(1) انظر: الشِّعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبد الله الحامد :105، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام لأيهم القيسي :317، الأدب في عصر النُّبوَّة والرَّاشدين د. صلاح الدِّين الهادي :259.

(2) ديوان حسَّان بن ثابت :120.

لأَمْـــرِ اللَّـــهِ والإِسْـــلامِ حَتَّـــى يَقُـــومَ الـــدِّينُ مُعْتَـــدِلاً حَنِيفَـــا[1]

فقد اعتمد الشَّاعر في أبياته على القاموس الإسلامي، واختار منه ما يعبِّر عن مضمونه بما يناسبه من الألفاظ الإسلاميَّة، ومنها (الإسلام، نجاهد، أمر الله، الدِّين، معتدلاً، حنيفاً).

ومن سمات التَّراكيب في شعر الجهاد غلبة البساطة والعفويَّة على هذا الشِّعر، فهو شعر مطبوع، يبتعد عن التَّعقيد والالتواء، وذلك يعود إلى أثر الثَّقافة الإسلاميَّة النَّابغة من تأثير القرآن الكريم والحديث النَّبوي، وصفاء اللُّغة التي ورد بها، فهي لغة منتقاة، تبتعد عن الخشونة، كلُّ ذلك أدَّى إلى وضوح التَّراكيب في شعر الجهاد وحسن تأليفها، وبعدها عن التَّنافر والتَّعقيد، ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك τ التي نظمها يوم الخندق، يقول:

وسَـــائِلَةٍ تُســـائلُ مـــا لَقِينَـــا ولـــو شَهِـــدَتْ رَأَتْنَـــا صَـــابِرِينَا
صَـــبَرْنَا لا نَـــرَى لِلَّـــهِ عِـــدْلاً عَلَـــى مَـــا نَابَنَـــا مُتَوَكِّلِينَـــا
وكـــانَ لنـــا النَّبـــيُّ وَزِيـــرَ صِـــدْقٍ بِـــهِ نَعْلُـــو البَرِيَّـــةَ أَجْمَعِينَـــا
نُقَاتِـــلُ مَعْشَـــراً ظَلَمُـــوا وعَقُّـــوا وكـــانوا بالعَـــدَاوَةِ مُرْصِدِينَـــا[2]
نُعَـــاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُـــوا إِلَيْنَـــا بِضَـــرْبٍ يُعْجِـــلُ المُتَسَرِّعِينَـــا
لِنَنْصُـــرَ أَحْمَـــداً واللَّـــهَ حتَّـــى نكـــونَ عِبَـــادَ صِـــدْقٍ مُخْلِصِينَـــا[3]

حيث يصف كعب τ ما أصاب المسلمين في موقعة الخندق التي تحزَّب فيها المشركون واليهود والقبائل الموالية لهم، وساروا لحرب المسلمين، الذين واجهوا أولئك

(1) ديوان كعب بن مالك :235 – 237.
(2) المُرْصِدُ: المُعِدُّ للأمر عُدَّته.
(3) ديوان كعب بن مالك :279 – 280.

المتحزِّبين بالصَّبر، واليقين، والتَّوكل على الله – عزَّ وجلَّ – فكان النَّصر حليفهم، وكانت الهزيمة والذِّلَّة من نصيب تلك الأحزاب التي تحالفت وتآمرت من أجل العدوان على المسلمين.. وقد عبَّر الشَّاعر عن تلك المعاني بألفاظ سهلة واضحة تتلاءم مع طبيعة الموضوع، وصاغها في عبارات متآلفة متجانسة، ومن تلك العبارات: (ولو شهدت رأتنا صابرينا، على ما نابنا متوكِّلينا، وكان لنا النَّبي وزير صدق، نقاتل معشراً ظلموا وعقُّوا، نعاجلهم إذا نهضوا إلينا) حيث يظهر ترابط تلك العبارات وتماسكها، وقدرتها على التَّعبير عمَّا يرمي إليه الشَّاعر بوضوح. وهذه السِّمة تلحظ بوضوح في أغلب الشِّعر الذي صاغه الشُّعراء حول الغزوات[1]، حيث تأنَّقوا في صوغ عباراتهم، والعناية بأساليبهم، وبخاصَّة؛ لأنّ هذا الشِّعر يردُّ على المشركين، وينقض قصائدهم التي تعرَّضوا فيها للمسلمين[2].

* * *

(1) راجع مثلاً: ديوان حسَّان بن ثابت :71–75، 93، 96، 119، 120، ديوان عبدالله بن رواحة :138، 147، ديوان كعب بن مالك :234–237، 255–258.

(2) راجع مثلا: السِّيرة النَّبويَّة 254/2 – 255، 257 – 258، ديوان عبد الله بن الزِّبعرى :29–30، 37 – 39، 40 – 43.

ثالثاً: الصُّورة الفنِّيَّة:

تعدُّ الصُّورة من أهمِّ العناصر الفاعلة في القصيدة الشِّعريَّة، لكونها من الوسائل الفنِّيَّة التي يعتمد عليها الشُّعراء في التَّعبير عن أفكارهم، لتقريب المعاني وزيادة توضيحها للتَّأثير في السَّامع. والصُّورة بناءً على ذلك ((ليست زينةً شكليَّةً، أو حليةً مصطنعةً، وإنَّما أداة أساسيَّة لتوصيل الخبرة والتَّعبير عن الرُّؤية))[1].

وتظهر الصُّورة بشكل أوضح من خلال ((الشَّكل الفنِّي الذي تتَّخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشَّاعر في سياق خاص ليعبِّر عن جانب من جوانب التَّجربة الشِّعريَّة))[2] معتمداً في ذلك على وسائل التَّعبير المختلفة في رسم مشاهداته ونظرته الخاصَّة للأشياء.

وتأتي الفنون البيانيَّة في مقدِّمة الصُّور التي استعان بها الشُّعراء في شعر الغزوات، وهي صور عمادها التَّشبيهات، والاستعارات، حيث لجأ إليها الشُّعراء في قصائدهم لما تمثِّله من قيمةٍ فنِّيَّة عالية.

ويعدُّ التَّشبيه من أكثر الفنون البيانيَّة جرياناً في الشِّعر، فهو من أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم والأذهان، وبه يزداد المعنى وضوحاً ويكتسب تأكيداً[3].

ومن الصُّور التَّشبيهيَّة ما يظهر في قول كعب بن مالك τ في موقعة بدر، حيث صور مسيرة جيش المسلمين لملاقاة المشركين، وكأنَّهم أسود تزأر تنتظر فريستها، يقول:

فَسَارُوا وسِرْنَا فَالْتَقَيْنَا كأنَّنَا أُسُودُ لِقَاءٍ لا يُرَجَّى كَلِيمُهَا[4]

كما صوَّر حسَّان بن ثابت τ استعداد المسلمين للقتال، فقال:

---

(1) جماليَّات القصيدة المعاصرة د. طه وادي :212.

(2) الاتِّجاه الوجداني في الشِّعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط :391.

(3) انظر: العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده لابن رشيق 287/1، تحقيق: د. محمد قرقزان.

(4) ديوان كعب بن مالك :266.

فِتْيَـــانُ صِـــدْقٍ كـــاللُّيوثِ مَسَـــاعِرٌ مَـــنْ يَلْقَهُـــمْ يَـــوْمَ الهِيَـــاجِ[1] يُعَـــرِّدِ[2]

حيث يصف فرسان المسلمين الذين يقفون في مقدِّمة الصفوف للدِّفاع عن عقيدتهم، والتَّضحية من أجلها، ولذا أطلق عليهم فتيان صدق، وشبههم بالأسود الضَّارية التي تدافع عن عرينها بكل حماسةٍ وعزيمة، وهم مع ذلك يسعرون نار الحرب، التي لا يقوى الأعداء على خوضها، بل يفرُّون منها لجبنهم وخورهم.

كما شبّه شعراء الغزوات أعداءهم من المشركين بالنَّعام، الذي يضرب به المثل في الجبن، وممَّا جاء من أمثال العرب قولهم: (أَندُّ من نعامة)[3] أي أَنْفَر. حيث شبَّه كعب بن مالك τ فرار المشركين يوم بدر بالنَّعام، فقال:

فَأَتَـــاكَ فَـــلُّ المشـــركين كَـــأَنَّهُمْ والخَيْـــلُ تَتْفَـــنُهُم نَعَـــامٌ شُـــرَّدُ[4]

أمَّا حسَّان τ فقد رأى تصويراً آخر لفرار المشركين في غزوة بدر، وذلك حين شبَّههم بالإبل التي يسير بعضها في إثر بعض، مبيِّناً هروبهم من أرض المعركة، ورجوعهم على أعقابهم بعد أن حمي الوطيس، وأحاط بهم المسلمون من كلِّ جانب، حيث يقول في ردِّه على قصيدة ابن الزِّبعرى:

إِذْ تُولُّـــونَ عَلَـــى أَعْقَـــابِكُمْ هَرَبـــاً فـــي الشِّـــعْبِ أَشْـــبَاهَ الرَّسَـــلْ[5]

أمَّا فرسان المسلمين الذين يواجهون الأعداء بكلِّ بسالة فقد شبَّههم حسَّان τ بالصُّقور، في قوَّة بأسهم، ونفاذ بصرهم، وتمكُّنهم من خصومهم، يقول:

---

(1) يوم الهياج: أي يوم الوقائع والمعارك الشَّديدة، يعرِّد: يفرُّ.

(2) ديوان حسَّان بن ثابت :94.

(3) مجمع الأمثال للميداني 413/3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(4) ديوان كعب بن مالك :191.

(5) ديوان حسَّان بن ثابت :181.

لَـــهُ خَيْـــلٌ مُجَنَّبَـــةٌ تَعَـــادَى[1] بِفُرْسَـــانٍ عَلَيهـــا كَالصُّـــقُورِ[2]

ويشير حسَّان بن ثابت τ إلى مكانة خُبَيب بن عدي[3] τ وجهاده من أجل نصرة الإسلام، فيقول:

صَـقْراً تَوَسَّـطَ فـي الأَنْصَـارِ مَنْصِـبُهُ حُلْـوَ السَّـجِيَّةِ مَحْضـاً غَيْـرَ مُؤْتَشـبِ[4]

وفي معركة بدر لم يجد كعب بن مالك τ بدّاً من ذكر مسيرة ذلك الجيش المسلم، يقدمه الرَّسول الكريم ρ حيث يحثُّهم على الجهاد، ويقوِّي عزائمهم، وهم يصغون إليه، ويطيعونه في كلِّ ما يقول، وقد لجأ كعب τ إلى الصُّورة التَّشبيهيَّة في هذا المقام، وذلك عندما شبَّه النَّبيَّ ρ بالبدر، الَّذي يضيء للآخرين فينير لهم طريقهم، ويدلّهم إلى طريق الرَّشاد والفلاح، يقول:

نَمْضِـي ويَذْمُرنا[5] فـي غَيْـرِ مَعْصِيَةٍ كأَنَّـه البَـدْرُ لـم يُطْبَـعْ عَلَـى الكَـذِبِ[6]

وفي صورة تشبيهيَّة أخرى يشبِّهه ρ بالشِّهاب، وهو يتوسَّط المسلمين، يقول كعب:

فِينَـا الرَّسُـولُ شِهَـابٌ ثُـمَّ يَتْبَعُـه نـورٌ مضـيءٌ لـه فَضْلٌ علـى الشُّـهُبِ[7]

كما استعان الشُّعراء بالاستعارات الجميلة لإبراز معانيهم في حلَّة قشيبة، وإيرادها في شكل تشتاق إليه النُّفس، وتأنس به. ومن تلك الصُّور ما عبَّر عنه حسَّان بن ثابت τ في يوم بدر، وذلك في وصف هزيمة حكيم بن حزام بن خويلد في ذلك

(1) الخيلُ المجنَّبَةُ: المقودةُ. وتعادى: تسرع.

(2) ديوان حسَّان بن ثابت :245.

(3) هو خُبَيْب بن عديٍّ بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري، شهد بدراً، وقَتَل الحارث بن عامر بن نوفل، واستشهد في عهد النَّبيِّ ρ. (انظر: الإصابة لابن حجر 185/3).

(4) ديوان حسَّان بن ثابت :225.

(5) يذمرنا: يحضُّنا ويدفعنا.

(6) ديوان كعب بن مالك :175.

(7) المصدر السَّابق :174.

اليوم، حيث قال:

نَجَّــى حَكِيمــاً يَــوْمَ بَــدْرٍ رَكْضُــهُ كَنَجَــاءِ مُهْــرٍ مِــنْ بَنَــاتِ الأَعْــوَجِ

لَمَّــا رَأَى بَــدْراً تَسِــيلُ جِلَاهَــا[1] بِكَتَائِــبٍ مِــلأَوْسِ أَوْ مِلْخَــزْرَجِ[2]

فقد جعل حسَّان τ في البيت الثَّاني جِلَاه بدرٍ تسيل رجالاً من كثرة كتائب الأوس والخزرج على سبيل الاستعارة، وذلك بما تحمله من عمق في تصوير تلك الكتائب، التي قدمت لنصرة الإسلام ودحر الشِّرك.

وفي تصوير المعارك تظهر جليّاً براعة الشُّعراء في التقاط صورهم التي رسموا من خلالها مشاهد حيَّة لما دار في أرض المعركة من مواقف وأحداث، ومن ذلك ما عبَّر عنه كعب ابن مالك τ في موقعة بدر، عندما وصف قتلى المشركين الذين سقطوا في أرض المعركة، فقال:

وعُتْبَــةُ وابْنُــه خَــرَّا جميــعاً وشَــيْبَةُ عَضَّــهُ السَّيْــفُ الصَّــقِيلُ

وهَــام بنــي ربيعــةَ سَائلُــوها ففــي أَسْيَافِنــا منهــا فُلُــولُ[3]

حيث أشار كعب τ إلى مقتل سادة قريش، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، اللذان قتلا في بدر، فقد لقيا جزاء عداوتهما ومحاربتهما للمسلمين، وفي التَّعبير عن مصرع شيبة تصوير بديع، وذلك حين قال: ((وشيبة عضَّه السَّيف الصَّقيل)) فقد شبَّه السَّيف بحيَّة تعضُّ، وتنهش، وتلحق الضَّرر بمن تريد، حيث أوحى هذا التَّعبير بالأثر الذي أحدثه السَّيف، وما كان له من وقع مؤلم في أجساد المشركين. وفي قوله: ((وهَام بني ربيعةَ سَائلُوها)) إحالة للسُّؤال من العاقل إلى ما لا يعقل، إذ الخطاب يكون في حقيقته إلى أولئك المشركين، وليس إلى هاماتهم التي تطايرت في يوم بدر، وهنا

(1) الجِلاَه: جمع جلهة، وجلهتا الوادي: جانباه. وملأَوسِ أو ملخزرج: أي من الأوس ومن الخزرج على سبيل التَّسهيل.

(2) ديوان حسَّان بن ثابت :299.

(3) ديوان كعب بن مالك :253.

يكون التَّعبير أبلغ وأقوى تأثيراً من جهة الاستدلال على ما حلَّ بالمشركين، وما أصابهم في تلك الموقعة الحاسمة.

ويصف العبَّاس بن مرداس السُّلمي ما كان من مشاركة بني سُليم في فتح مكَّة بألف فارس جاءوا لنصرة النَّبيِّ ρ وتحقيق الفتح المنتظر، يقول:

مِنَّــا بمكَّــة يــومَ فَــتْحِ محمَّــدٍ أَلْــفٌ تَسِــيلُ بِــهِ البِطَــاحُ مُسَــوَّمُ[1]

لقد كان العدد الذي شارك المسلمين من بني سُليم كثيراً في نظر الشَّاعر، فهم (معلَّمون) ومتدرِّبون على الحرب وخوض غمارها من جهة، وقد سالت بهم تلك الأرض السَّهلة المتَّسعة لكثرتهم ووفرة أعدادهم من جهة أُخرى، وهنا يبرز دور التَّصوير الذي لجأ إليه العبَّاس بن مرداس في قوله: (ألف تسيل به البطاح) إذ لا تسيل الأرض ماءً، بل تسيل رجالاً من بني سُليم ملأوا بكتائبهم تلك البطاح، وهو ما يُبرز أهمِّيَّة تلك الحشود الَّتي توافرت لنصرة المسلمين في فتح مكَّة.

وفي موقعة مؤتة، وأمام جيوش الرُّوم الجرَّارة التي واجهت المسلمين في أرض المعركة، لم يجد عبد الله بن رواحة τ بدَّاً من مخاطبة نفسه، وحثِّها على الصَّبر والعزيمة، والتَّضحية من أجل النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله، يقول:

يَــا نَفْــسُ إلاّ تُقْتَلِــي تَمُــوتِي هــذا حِيَــاضُ المَــوْتِ قــد صَــلِيتِ

إِنْ تَسْــلَمِي اليَــوْمَ فَلَــنْ تَفُــوتِي أَو تُبْتَلِــي فَطَالَمَــا عُــوفِيتِ[2]

فقد جعل الشَّاعر من نفسه إنساناً مقابلاً له يجيد لغة الحوار والخطاب، والجدال والإقناع، وذلك ليبثَّ ما في وجدانه من مشاعر، ويعالج ما في داخله من إحجام، قاصداً في نهاية المطاف أن تتشجَّع نفسه، وتُقدم على ذلك الأمر الذي جاءت من أجله، وهو الجهاد والتَّضحية في سبيل الله.

---

(1) السِّيرة النَّبويَّة 426/2.

(2) ديوان عبد الله بن رواحة :154.

ويصوِّر العبَّاس بن مرداس τ بطولة قومه وشجاعتهم، وهم يتصدُّون للمشركين في موقعة حُنين، فيقول:

إِذْ نَرْكَبُ المَوْتَ مُخْضَرّاً بَطَائِنُهُ والخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ (1)

فالشَّاعر هنا وفي سياق تجسيد شجاعة قومه وفروسيَّتهم يلجأ إلى التَّصوير، وذلك حين أحال الأمور المعنويَّة إلى أمور حسِّيَّة، تشاهد، وتُركب، ويُتعامل معها، وهو ما يظهر فيقوله: (إذ نركب الموت مخضرّاً بطائنه) فقد أحال (الموت) وهو أمر معنوي إلى محسوس، وجسَّده بشكل ملموس، ليُوحي من خلال ذلك بما امتاز به أولئك الفرسان من ثبات، وعزيمة، وإقدام في أرض المعركة.

****

(1) السِّيرة النَّبويَّة 467/2.

الـخـاتـمـة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على أفصح العرب قاطبة سيِّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد سارت هذه الدِّراسة في تتبُّع شعراء غزوات النَّبيِّ ρ، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة، والحرص على الدِّفاع عن الإسلام، ومنافحة خصومه، والتَّصدِّي لهم في كلِّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدَّعوة الإسلاميَّة.

وقد اشتملت هذه الدِّراسة على فصلين أساسين، أحدهما بعنوان: (الشِّعر في مواكبة الغزوات)، وفيه عرض البحث لغزوات النَّبيِّ ρ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشِّعر من ردود على شعراء المشركين، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشُّعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتَّسم فيها الشِّعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين، ولذا فقد جاءت الرُّدود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشِّعر، وتفصح عن عيوبه. وفي غزوة (الخندق) وقف الشِّعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويَّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين، ولكنَّهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران. وفي غزوة (مؤتة) وقف الشِّعر يستنهض الهمم، ويقوِّي العزائم، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله. وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء، حيث مجَّد الشُّعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمته، وأهمِّيَّته للمسلمين.

أمَّا الفصل الثَّاني فكان بعنوان: (القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات) وفيه تناولت الدِّراسة ما اتَّسم به ذلك الشِّعر من قيم فنِّيَّة في جانب اللُّغة الشِّعريَّة، والصُّورة الفنِّيَّة، وبيان أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات.

أهم النتائج :

1. براعة الشِّعر الإسلامي في جانب الغزوات وظهوره بشكل ملموس .
2. مواكبة شعر الدعوة الإسلاميَّة للغزوات التي قادها المسلمون في عهد النبي ε .
3. اشتمال ذلك الشِّعر على معاني الحماسة والجهاد في سبيل الله والحض على نصرة الدين .
4. العاطفة الدينية متوقدة في ذلك الشِّعر حيث ظهر أثرها في إذكاء الهمم وتقوية العزيمة لدى المجاهدين وحضهم على نصرة الدين .
5. تنوُّع المعجم الشِّعري واشتماله على المفردات والتَّراكيب التي تعبِّر عن معاني الجهاد في سبيل الله واذكاء العزيمة في نفوس المجاهدين، وظهرت جليًا فصاحة الكلمة وسلاسة العبارة وكثرة مفردات القاموس الاسلامي .

أهم التوصيات :

كما توصي الدراسة الباحثين بتناول موضوعات الحماسة في شعر الجهاد في عصر النبي ε وتناول الجوانب الفنية في شعر النُّبوة والخلفاء الراشدين ؛ لما اشتملت عليه من قيمٍ فنِّيَّة تأثَّرت بالقرآن والحديث والمعاني الإسلامية الَّتي عرفت مع بعثة النبي ε وهو ما يبرز بوضوح أثر الإسلام في الشعر .

هذا وأسأل الله تعالى التَّوفيق والسَّداد، وأستمدُّ منه العون والتَّأييد.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

*!!!

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- «الاتِّجاه الوجداني في الشِّعر العربي المعاصر»، القط، الدكتور عبد القادر، ط2 ، بيروت: دار النَّهضة العربيَّة للطباعة والنَّشر، 1981م.

3- «الأدب الإسلامي في عهد النُّبوَّة وخلافة الرَّاشدين»، معروف، الدكتور نايف، ط1 ، بيروت: دار النَّفائس للطباعة والنَّشر، 1410هـ.

4- «الأدب في عصر النُّبوَّة والرَّاشدين»، الهادي ، الدكتور صلاح الدِّين، ط4 ، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1409هـ.

5- «أساس البلاغة»، الزَّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر ، تحقيق: عبد الرَّحيم محمود ، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

6- «الاستيعاب في أسماء الأصحاب»، القرطبي، ابن عبد البر، القاهرة: مطبعة السَّعادة، 1382هـ.

7- «أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة»، ابن الأثير، عزِّ الدِّين، القاهرة: دار الشَّعب، د. ت.

8- «الإسلام والشِّعر»، ترحيني، الدكتور فايز، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990م.

9- «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، العسقلاني، ابن حجر، تحقيق: علي محمد البجاوي ، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر،1970م.

10- «الأغاني»، الأصبهاني، أبو الفرج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الشعب، 1389هـ.

11- «التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة»، زلط، الدكتور عبد الرحيم محمود، ط3 ، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، 1403هـ.

12- «تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي -»،ضيف، الدكتور شوقي، ط7 ، القاهرة: دار المعارف، 1984م.

13- «تاريخ الأدب العربي»، فروخ، الدكتور عمر، ط5 ، بيروت: دار العلم للملايين، 1984م.

14- «تأمُّلات في سيرة الرَّسول ρ»، الوكيل، الدكتور محمَّد السَّيِّد، ط1، جدة: دار المجتمع للنَّشر والتَّوزيع، 1408هـ.

15- «جماليَّات القصيدة المعاصرة»، وادي، الدكتور طه، ط3 ، القاهرة: دار المعارف، 1994م.

16- «دراسات في أدب الدَّعوة الإسلاميَّة»، زيني، الدكتور محمود حسن، القاهرة: مطبوعات مكتبة الخانجي، 1402هـ.

17- «ديوان النَّابغة الجعدي»، تحقيق: عبد العزيز رباح ، دمشق: المكتب الإسلامي للطِّباعة والنَّشر، د. ت.

18- «ديوان حسَّان بن ثابت»، تحقيق: د. سيِّد حنفي حسنين ، القاهرة : دار المعارف، 1983م.

19- «ديوان عبد الله بن رواحة – ودراسة في سيرته وشعره –»، قصاب، الدكتور وليد ، ط2، عمَّان: دار الضِّياء للنَّشر والتَّوزيع، 1408هـ.

20- «ديوان كعب بن مالك الأنصاري – دراسة وتحقيق –»، العاني، الدكتور سامي مكِّي ، ط1 ، بغداد : منشورات مكتبة النَّهضة، 1966م.

21- «سير أعلام النُّبلاء»، الذهبي، شمس الدِّين ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون ، ط1، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، 1401هـ.

22- «السِّيرة النَّبويَّة»، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السَّقا وزميليه ، ط2 ، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ.

23-«شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، الحنبلي، عبد الحي ، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

24- «الشِّعر الإسلامي في صدر الإسلام»، الحامد، الدكتور عبد الله، ط2، 1401هـ.

25- «شعر العقيدة الإسلاميَّة في عصر صدر الإسلام حتى سنة 23 هجريَّة»، القيسي، الدكتور أيهم، ط1 ، بيروت: عالم الكتب، 1406هـ.

26- «شعر الفتوح الإسلاميَّة في صدر الإسلام»، د. النُّعمان القاضي، الدَّار القوميَّة للطباعة والنَّشر، القاهرة 1385هـ.

27- «شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه»، الجبوري، الدكتور يحيى، ط3 ، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، 1408هـ.

28- «شعر عبد الله بن الزِّبعرى»، الجبوري، الدكتور يحيى، ط1 ، بيروت: مؤسَّسة

الرِّسالة، 1398هـ.

29- «صحيح مسلم»، مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط1، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ.

30- «الصُّورة والبناء الشِّعري»، عبدالله، الدكتور محمد حسن، القاهرة: دار المعارف،1981م.

31- «العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده»، القيرواني، ابن رشيق (ت456هـ)، تحقيق: الدكتور محمد قرقزان ، ط1 ، بيروت: دار المعرفة، 1408هـ.

32- «في أدب الإسلام – عصر النُّبوَّة والرَّاشدين وبني أميَّة-»، علي، الدكتور محمَّد عثمان ، ط2 ، بيروت: دار الأوزاعي للطباعة والنَّشر، 1406هـ.

33- «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، مجد الدِّين محمّد بن يعقوب ، ط2، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر، 1407هـ.

34- «لسان العرب»، المصري، ابن منظور، بيروت: دار صادر، د. ت.

35- «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، ابن الأثير، ضياء الدِّين، تعليق: د.أحمد الحوفي وزميله ، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنَّشر ، 1973م.

36- «مجمع الأمثال»، الميداني، أبي الفضل أحمد بن محمَّد بن إبراهيم، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1978م.

37- «المسند»، ابن حنبل ، الإمام أحمد بن محمد، شرح: أحمد محمود شاكر ، القاهرة: دار المعارف، 1374هـ.

38- «المصباح المنير»، المقري ، أحمد بن محمد بن علي الفيُّومي، بيروت: مكتبة لبنان، 1987م.

39- «معجم البلدان»، الحموي ،ياقوت ، بيوت: دار صادر، 1374هـ.

40- «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، عن مجمع اللغة العربيَّة ، القاهرة: مطابع الأوفست، 1409هـ.

41- «المعجم الوسيط»، عن مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، ط2 ، بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، 1972م.

42- «النَّابغة الجعدي – حياته وشعره –»، أبو ذياب، الدكتور خليل إبراهيم، ط1 ، دمشق: دار القلم للطباعة والنَّشر، 1407هـ.

43- «النَّظرة النَّبويَّة في نقد الشِّعر»، قصَّاب، الدكتور وليد ، العين: منشورات المكتبة الحديثة، 1408هـ.

44- «الوساطة بين المتنبِّي وخصومه»، الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.

فـهـرس الـمـوضـوعـات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	101
الفصل الأول: الشِّعر في مواكبة الغزوات	104
غزوة بدر	106
غزوة أحد	109
غزوة الخندق	117
غزوة مؤتة	123
فتح مكة	128
الفصل الثَّاني: القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات	136
أوَّلاً: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشِّعر	136
ثانياً: اللُّغة الشِّعريَّة	141
ثالثاً: الصُّورة الفنِّيَّة	146
الخاتمة	152
فهرس المصادر والمراجع	154
فهرس الموضوعات	159